

مغامرت
اريسين لوبين

افطاف اريسين لوبين



۵۰
مليمان

الفصل الأول

كان للوجوم المفاجيء الذى ران على ارسين اوبين اكبر الأثر في بعث الحيرة الى نفس ضيفه وصديقه سويز وبلد ، الذى راح يتأمل ملامحه في قلق . وما لبث لوبين أن نهض فسار الى منضدة تناول من لديها لفافة تبغ اشعلها . ثم نظر الى صديقه الشاب برمة وهو مستغرق فى التفكير .. وما كان سويز - الوريث الوحيد المنتظر لاسم وثروة عظيمى الشأن - بالفريه عن لوبين ، بل انه غبدا في المدة الأخيرة الصاحب المقرب الى نفسه وقلبه .. ثم قال في جد :
- لا تعجب يا سويز اذا رفضت اجابتك الى الخروج الى الحديقة ، ولكنى لا أشك في انك ستفهمنى اذا حدثتلك عن سبب صمتى الطارىء ووجومى ، فانك دائما تنكر كل ما ليس ماديا من الأشياء والأسباب ..
فتطلع اليه وبلد في ذهول وقال :
- عجباً لك يا رجل .. ما هذه النظرة الغريبة التى تبدو في عينيك ..

- انك لا تؤمن بالوحى او الهاجس النفسانى .. اليس كذلك ؟ .. ولكن كثير من كبار العلماء بثقون بهذه الأشياء النفسانية كل الثقة .. وانى لأعزو بقائى على قيد الحياة الى انذار خفى كان ينبهنى في الساعات التى أكون مقدياً فيها على خطر غير منتظر ولا معروف .. وانى لأسمع هذا الانذار يهتف في اعماقى الليلة ..

وأمسك لوبين عن الكلام وهو يانس من أن يصدقه الشاب الفنى الذى لا يؤمن بالأشياء النفسانية او الروحانية .. لا . بل وقانط من أن يعتقد الشاب أن ارسين لوبين الثرى الذى يعيش اليوم في راحة ودعة بعد أن دوخ أمهر رجال

البوليس في كثير من الدول ، يشق عن حق في هذه الهواجس الصبيانية ..

وقال وبلد يحارره : وما هذا الانذار الخفى ؟
- لقد حدث في مرات عديدة سابقة أن كنت مقدياً على عمل من الأعمال ، فلا بلس هذا النذير أن يوحى الى بخطر قريب يهددنى .. وفقط لم يكذبنى ! . واقد ظللت الأسابيع الأخيرة وبنفسي خاطر يمس ليذكرنى ان هذا الهدوء الوادع لا يمكن أن يدوم .

- وما هذا الذى تظنه يهدد أمن حياتك ؟
- أو نسيت هذا البناء القائم الشامخ الذى يقوم على مقربة من هذه الناحية ؟
- أتقصد سجن سنج سنج ؟ . ما أراك جادا .. وما اظنك تترقب ان تقاد اليه ؟ . ولم ؟ .

- كيف تنتظر ان اشعر بشيء من الراحة والاطمئنان وذلك السجن الرهيب على مقربة منى .. تصور تلك البأساء التى تلف اوائك المساكين الذين القت بهم الأقدار خلف جدرانها ! .. تصور ذلك الحقد الذى تشتمل ناره في صدورهم فنظف تاكليها في بطن قاتل .. الحقد نحو القوانين والبوليس .. نحو النساء اللاتى من اجلهن أقدم الكثيرون منهم على السرقة والقتل .. نحو .. نحو انفسهم بدافع من اليأس من رحمة الدنيا .. لا ، لن نستطيع العيش هنا طويلاً .

فقال الشاب في اكتئاب : وما يكون مصرى اذا ارتحلتما وأنا الذى لم أعد أجد ما يرفه عنى الضجر من العمل في مصرف عمى ، سوى العيش معك ومع غيرا هنا ؟ .

- مهلاً يا سويز ، سأحدثك بما دفعنى الى معارضتك في الخروج الى الحديقة الليلة .. ان شعورا قويا طارنا .. لا بل يقينا تملكنى ما ان ثمة خطراً يكمن هنا .

واحس سويز ان في لهجة لوبين من التاكيد ما جعل ما في نفس صديقه من تخوف يسرى الي نفسه وعاد لوبين يقول : اذهب الي فراشك ، وان البث ان اتبعك .

فقال محتجا : اتظنني استمر في النوم وانت تسمى وحدك لاكتشاف هذا الخطر الذي تزعم ؟ ..

وهم لوبين ان يجيبه ، ولكنسه رفع يده بفتة يسأله الصمت . ثم ارهف اذنيه الحادثين وما لبث ان ابتسم ، وقال :

- آه . انهما قدما فيرا .

كان ارسين لوبين قد قنع بما اقدم عليه خلال السنوات الطويلة الماضية من مخاطرات ومغامرات . فتحول يبذل بعض المساعدات لرجال البوليس فيما يعجزون عن كشف غوامضه من القضايا العويصة ، ثم ما لبث ان مال الي الراحة واتخذ هذا القصر المنعزل في ناحية نائية قريبا من سجن امريكا الرهيب ، ليقضي فيه فترة من سنى العمر في دعة ورفاهية .

واقبلت فيرا تتيه بقوامها المديد الرشيق ، وفي عينيها نظرة ذاهلة عجب لها الرجلان . فصاحت :

- يا للشيطان ! . متى عدتما ولم تمض بعد دقيقة منذ رايتكما عند حافة النهر ؟ .

فقال لوبين : تعنين انك رايت رجلين يشبهاننا كل الشبه ! وزحف الجزع الي عينيها اذ رآته يتناول مسدسه الاوتوماتيكي فيفحصه ، وقد جز على ايسابه ، واومضت عيناه ببريق لامع . وهتف وبلد متسائلا : ماذا تبغى ؟ .

- هناك رجلان في الطرف الاقصى من الحديقة عند النهر ، فمن الطبيعي ان يسمى المرء ليعرف كنه امرهما . وهل كان يحاولان الاختفاء عن الأنظار يا فيرا ؟ .

- كلا ، وهذا ما حملني على ان اظنهما انت وسويز .. كان اطولهما يحاول اللحاق باقصرهما وهما يجريان ، كما يحلو لكما ان تفعلنا حين يستخفكما اللهو والمرح .. اواه يا لوبين ! .. اتظنهما من عصابة « لا بيل الليناس » الذين اتسموا على قتلك اذا استطاعوا الخلاص من السجن الذي زوجت بهم فيه ؟

- سارى ..

- لا .. انك لا تعلم كم هم المتربصون ..

فاطفا الانوار غير مبق الا على مصباح خاقت كان يقبع على حافة المعرف .. وهتفت فيرا ضارعة :

- كن على حذر من اجلي وخذ سويز معك ..

فانحني يقبلها وقال : رفهي عنك يا عزيزتي .

وهم ان يتحرك وسويز في اثره لولا ان صرخة جادة انبعثت في جوف الليل فسمرتيها في موقفيهما ..

وقال لوبين : انها صيحة استغاثة .. انه يفر من قاتل .. اتسمعان ؟

فقالت فيرا متوسلة : مهلا ، فربما كانت خدعة لاجتذابك الى الخارج دون استشارة اى ريب ..

- بل لقد كانت الصرخة تنطق بالدعير القاتل .. تنحى جانبا . واثت يا سويز فسا فتح الباب المشرف على الحديقة ..

وفي حذر فتح الباب ، فاذا بضوء القمر يغمر الحديقة واذا بمنظر غير عادى يستقبل انظارهم . منظر رجل قصير نحيل يعدو باقصى سرعة نحو البيت وفي اثره رجل لا يتجاوز طولا ، على عكس ما رات فيرا من قبل ثم اوغض نصل خنجر خيل للوبين انه قد غيب في ظهر الأول .

والكن هذا لم يهو الي الارض ، بل بعث مرأى الباب الذي فتح ، والرجلان والمرأة الذين بدوا عنده ، املا في نفسه ،

حضورى امرأ لتكتما عن عداه ، لذلك كمننت بين الأشجار
ريشما بنام الجميع . فعهدى به أنه لا يأوى الى مضجعه
الآ فى ساعة متأخرة جدا .. وفيما كنت أهم بإيقاد سيجارة ،
سمعت همسة ، ثم رأيت رجلا يحديق فى كما يحديق الجائع
فى قطعة الشواء .. وما لبث أن برز من خلف شجرة رجل
آخر .

فصاح لوبين : اذن فهما اثنان ؟

- انتظر .. كان هذا الأخير بادی السيطرة على الاول ،
فاستوقفه ثم سألنى : « اظنك مستر سميت ؟ » فلم ار
ما يحول دون أن أجيبه اننى سميت فعلا ، وعندئذ قفز
الرجل القصير على ، فصددته عنى ، واندفعت جاريا ..
بالله عليك لا تخرج وتتركنى وحيدا .. اتصل بالبوليس
فليس فى الأمر ما يدعو الى الخوف من تدخله .. ثم تذكر
انهم أربعة ..

- أربعة ؟ .. اوافق انت ؟

- كل الثقة .. لقد اندفعوا خلفى ، ولكن اكبرهم اصطدم
بالتمثال القائم وسط البركة فى الحديقة .. ثم اقبل آخر
فاختفيت وسط الأزهار حتى اذا هجم ركلكه بمقدمة قدمى
فى جبهته .. ولكن ، استدع البوليس .

وتحول لوبين نحو التليفون ، فرفع السماعة وانصت برهة
ثم أعادها موضعها قائلا :

- لا تظننى كنت معتزما استدعاء البوليس ، فقد طرات
على ذهنى فكرة مريبة ، ما لبثت أن تأكدت من صدقها ..
لقد قطعوا اسلاك التليفون مما يوحى بأنهم قرروا أن ينفذوا
الى البيت ، ولا شك أن الرجال الذين يقدمون على استعمال
الخنجر . لا يترددون فى اقتحام بيت كهذا يحوط بالثواقف
من كل جانب ..

فضاعف من سرعة عدوة مندفعاً نحوهم ، فتنحوا عن طريقه ،
ليسقط على أرض الحجر وهو يرتجف بينما تراجع مطارده
واختفى بين الأشجار ، فبادر لوبين بفتح الباب وإيقاد النور ،
ثم انحنى يفحص الرجل ، الذى بدأ مشعثاً ممزق الثياب
ملاحظها بالوجل ، غائب الوعى ، تنساب الدماء غامرة وجهه ،
ووجد لوبين فى كتفه جرحاً نازف الدم ، ولكنه لم يك
بالخطر ، وما لبث الرجل أن أفاق من غشيته فصاح فى ضراعة
- لا تدعهم يقتلونى يا لوبين .. !

فندت عن فمها صيحة عجب ، وهتف لوبين : بالله .. !
انه هوراس ويمز .. !

وقال ويمز فى اعياء : لقد قطعوا اذنى ..
ورأى لوبين أن حوالى البوصة من اذن ويمز قد غاب ليخلف
وراءه نزيفا لا ينقطع ، فأسرع يوقف هذا الشريف ، ويسعف
ويمز الذى ما لبث أن تسالك قواه ، واطمان إذ وجد نفسه
فى حضرة صديقه القديم ، وسأله لوبين أخيراً بعهد أن قام
بواجب التعريف بينه وبين ويلد وفيرا :

- ومن هم أولئك الذين طاردوك .. ؟
فصاح : ليتنى اعرفهم . اننى ضسحية بريئة ، كما هى
عادة الأقدار ممي .. ! اننى لم أراهم من قبل ، ولم يك ثمة
وقت لأستطلعهم سر هذه المطاردة ، لقد فاجأونى وأنا انتظر
بين الأشجار .

فسأله ويلد : وما الذى كنت تنتظره ؟
فقال متألماً : لا يحسن بك أن ترتاب فى يا مستر ويلد .
لقد قامت بينى وبين لوبين منذ هبط أمريكا ، وأصر صداقة
متينة . كنت قادمًا لأسأله المساعدة ، فهو يعرف تماما أى
نوع من الأعمال برعت فيه ، إذ سبق أن ساهمنا معا فى إنتاج
الأشرطة السينمائية .. ولما كانت ظروفى تحتم على أن أجعل

فصاح ويمز جزعا . ولكن لوبين عاود الكلام في هدوء
قائلا : ستفودك فيرا الى جناح خاص في الطابق الثالى ياويمز
فادخل الملحق به واغلق الباب خلفك بالمزلاج .. ولتبقي في
الطابق الثانى يا فيرا ، فاننى وان كنت لا اجد ثمة ما يدعو
الى القلق لا ارتاح لوجودك هنا .

فقال ويمز : ايقظ الخدم ..

فاجابه : ليس بالقصر سوى اربع خادمت .. وليس لمدى
خدم من الذكور .. ثم ان الخادمت قد اوين الى مضاجعهن
منذ ساعتين .. ومن ثم فليس لى غير مسدسي وثلاث
طلقات فقط ..

واتجه هوراس ويمز نحو الباب ، ولكنه صاح في زعر قبل
ان يبلغه ، ثم هوى في اغمالة ثانية .. فتقدم لوبين وويلد
وحملاه ، ولكنهما ما توسطتا الردة المفضية الى السلم حتى
ادركا سبب جزعه ، اذ رابا رجلا غربيا يقف امامهما ، وخلفه
زميلان لاتبين علامج وجهيهما اذ استلقى عليهما ظل الاول ..
وهو رجل طويل القامة ، بدا في يده مسدس على اهبة
معونته ..

وقال الرجل في ثبات : ارفعوا ايديكم ايها السادة ..
ودعوا مستر سميث في الارض ..

كانت لهجته تنم على انه متقف ، تتخللها نبرة حدس لوبين
انها اسبانية او من نبرات اهل امريكا الجنوبية ، وان بدت
لفته الانجليزية نحوية فياضة .. بينما كسا وجهه غضب
بخالطه وهو الانتصار .. ووضع لوبين وويلد جثة ويمز على
الارض ، ثم تقهقرا حتى التصقا بالحائط .. وقد خالج
لوبين شعور بالارتياح - رغم الخطر المحدق - اذ تاكد ان
لرجل ليس من اعدائه السابقين .. بل ان وجهه لم يك وجه

شخص مجرم ، رغم ما بان عليه من حقد وبغضاء لمراى
ويمز ..

وقال لوبين اخيرا : ان فيرا غير مسلحة فلا داعى
لازعاجها ..

وتأملها برهة ثم داخه ارتياح جديد .. كان يعرف ان
غيرا ماضيها الدافل بالمغامرات وان لها اعداء يسعون
للانتقام ، ولكنه لم يلمح على وجهها ما يشعره انها رأت فى
احد الاغراب الثلاثة ، ما يخيفها من بعث الماضى بعد دفنه .
وقال الرجل الطويل في تادب : اننى آسف اهذه المفاجأة ،
ولكى ارجو ان لا تاتى بحركة تضطرنى الى ازعاجها ..
فقالت فيرا : شكرا لك .. وهل لى ان اسأل عن سر هذه
الزيارة ؟

- قبل كل شيء ، اسمحوا لتابعى ان يفتشكم ليجردكم
من كل سلاح ..

فتقدم من خلفه رجل قصير نحيل ، يعترض جبهته جرح
عميق ثم عن انه الاثر الذى حدثته قدم ويمز ، وبعد ان رمق
الرجل المعنى عليه في غيظ ومقت ، فتش لوبين وويلد وفيرا ،
وعاد الى رئيسه بمسدس لوبين .. واذ ذاك قال الرئيس :
- اذن فليفضل السيدان بالجلوس الى جانبى السيدة
فهناك حديث طويل لا مانع من ان امتعكم به ما دامت الليلة
آخر ليالى الحرية في حياتكم ..

الفصل الثمانى

ذهل وبلد اذ راى لوبين وفيرا يتلقيان الامر في بساطة ..
ولكن ذهوله تضاعف حين راى لوبين ينظر الى مقتحمى داره
في عجب ، وبما استطاع ان يحدس الغضب المحتدم الذى كان

وراح يتأمل ملامحهم يتعرف آثار كلماته ، فقال الزعيم
الأمريكي الأصل : ليس في هذا ما يدهشنا ، فنحن نعرف أن
زملاء سميث في جرائمه من عليه القوم دائما .. ولكن حذار
يا صديقي ، فما ظن السيد قد صارحنا صادقاً بشخصيته ،
وإن من المحتمل أنه قد صدقنا القول فيما ذكره عن نسب
الآخرين .. ولقد عرفت حقاً الأمير سوينوفسكى فيما مضى ،
إذ كان من كبار الملوك في أوكرانيا ..

قال لوبيين : لا عجب إذا أنكرت على اسم ديل ، فقد أنكرت
على وبمز اسمه ودعوته سميث ..

— آه ، لقد ذكرتني بموضوع زيارتنا .. كنا موقنين من
زمن أن سميث لابد أو إلى هنا كما نأوى الجسرذان إلى
جورهم فأننا قبلنا في آساس فادرك أننا سنقبض عليه ،
وهي حاسة غريزية في المجرمين يشعروا باقتراب منية
حريتهم ، فكان من الطبيعي أن ياجأ إلى وكره يعتصم فيه
فقالت فيرا : لقد أخطأه الظن .. فما جاء هنا الا صدفه
ليقترض من زوجي بعض المال ..

وأفاق هوراس وبمز في تلك الأثناء فاستوى جالساً ..
وراح يحدق فيمن حوله بدهول ..
وسأله لوبيين :

— أتعرف هؤلاء السادة من قبل ؟ . وهل تعرف أنهم كانوا
يتعقبونك ؟ .

فقال في صوت أجش : ما رأيتم قبل الليلة ..

— أنهم تحت شعور من الوهم القوي يظنون أنك عدو
الحقت بهم ضرراً كبيراً وأنتى ومستر وولد شريكان لك ..
بل أنهم يابون أن يصدقوا أنتى ادعى مارتن ديل وأنت
هوراس ديمز ..

لوبيين يكبحه .. ولاحظت فيرا انه قد أهمل الرجل القصير
ومضى ينعم النظر في الآخرين برهة ، ثم تحول عن ذلك الذي
تصدر للزعامة وقال للآخر وهو يحدق الى يده ، وعلى وجهه
سيماء الفوز :

— يسرنى أن يتفضل سيدي الايرل بشرح الموقف فقد
أوشكت أن أمل ..

وأشار الرجل الذي تمت لهجتسه عن انه من أمريكا
الجنوبية في دهشة وصاح في زميله : انه يعرفك : أوليس
هذا دليل آخر على اشتراكه مع سميث ؟ .

بينما تحول لوبيين الى فيرا وصديقه قائلاً : يسرنى
أقدم لكما الجنرال الايرل اوف بروكنهيرست الذي كان على
راس جيش الاحتلال في كولونيا .. لقد رأيت كثيراً هناك نشأة
الحرب الماضية ، فلما رأيت ليلة . ثم لمحت شارة النيران
على كم ستوته ، تذكرته .

وكانت لهجته تتم عن الثقة والإطمئنان ، ولكن الايرل
يجفل ، بل تحول اليه قائلاً :

— أصبت يا هذا . ولكن .. ما أراك تعيش هنا الا تحت
اسم مستعار ولا ريب ؟

فقال لوبيين : أنتى ادعى مارتن ديل . هل سمعت هذا
الاسم بين عائلات إنجلترا القديمة ؟ . آه ، أتري في لهجتى
ما لا يستقيم مع اللغة الإنجليزية ؟ . لا عجب ، فقد ولدت
ونشأت في فرنسا ، ثم هانذا أعيش الآن في أمريكا ، فلم أجد
في إنجلترا أكثر من بضع سنوات . ما صديقتى فهي الأرملة
فيرا سوينوفسكى التى تنحدر من أعرق الأسرات الروسية
وصديقتى مستر سوينز وولد ، ولعلك سمعت عن عمه مستر
كيرتز وولد الذى اكتسب شهرة عالمية في الأوساط المالية !

يا لها من حكاية ظريفة للصحف ! . ويا لفخرى حين
يذكر اسمى الى جانب اسم الوريث الوحيد لاحد الماليين
العالميين في واشنطن . . ما رأيك يا ديل ؟
وفجأة ، انفتاح غضب الزعيم وتبدت عليه علامات الحيرة
وصاح : بالله ! اى خطأ مروع ارتكبنا . . ! ان هذا الرجل
ليس سميت وان شابهه في شكله وحركاته ولهجته ، ايها
السادة ، ليس في وسمى أكثر من ان أضجع نفسي تحت
رحمتكم . . !

وهم ويمز ان يتكلم ولكن لوبين اسكتته وقال للرجل :
وكيف نسئ هذا . . ؟
فاجابه : ان اسميت اسنانا زائفة مصطنعة ، اما هذا
الرجل فاسنانه طبيعية ، الا انظر يا سيدى .
ودفع الى لوبين صورة فوتوغرافية وجدها تشبه ويمز
في أيام رخائه وبسطته كل الشبه ، وتحول الرجل في
نفسه الى ويمز متسائلا :

سيدي ، كم يكفيك تعويضاً لما الحقناه بك . . ؟
فصاح ويمز : لقد قطعتم اذنى ، وملابسي ، فضلاً عما
احببته من هلع وذعر .

وود لو يطلب خمسمائة دولار ، ولكنه فوجء بالرجل يدفع
اليه الفنا ، فامسك عن الكلام ونظر اليه مشدوها ، ولكن
لوبين لم يشأ ان يلاحظ احد من الاشراف دهشته ، فقال له :
- اراك الان متعباً يا ويمز فاصعد مع فرا الى الفرقة
المخصصة لك وساخبرك غدا بما يتم .

وقال الابول اذ خرجا : ان من العسير علينا ابصاح الموقف ،
لقد كنا نعرف ان صاحب هذا البيت قبلك كان رجلاً سيء
السمعة . فلما رأينا سميت ، ونحن نتعقبه ، يتسلل الى
هنا زدنا يقينا من انه الرجل الذى نتشكده ، اننى ادرك

ما تبغى قوله ، ولكننا لم نك نبغى دعوة البوليس للتدخل ،
واذ كنت بطيء الغضب ، فان زمينى ، جوميز ، هـذا
السيد الطويل ، ويدور الآخر ، كانا سرعى الغضب فلم
يتمالكا نفسيهما ، ولم يرحماه .

وكانما شاء جوميز - الزعيم - ان يوقفه عن الحديث ،
فانحنى امام فرا التى عادت اذ ذلك وقال :

- سيدتى ، انك بما اوتيت من قلب رقيق تفهمين معنى
الاسف ، فاقبلى اسفنا لما حدث .

فاجابته ببرود : ولكننى لا استطيع ان انسى انكم اقتحمتم
البيت عنوة .

وقال لوبين : وكذلك لا ننسى انه لولا انتباهكم فى آخر
الحظة الى الخلاف بين سميت وويمز لكان ويمز الآن فى دنيا

أخرى . . واعتقد ان لا مناص من دعوة البوليس للتحقيق ،
حتى لا يزعج الناس فى بيوتهم هكذا وهم آمنون . . ان

السادة لا تفتح البيوت بهذه الطريقة ، ومن يدري ؟ . .
فربما كان من المقدر ان تقلبوا البيت رأساً على عقب لو لم

تفطنوا الى خطئكم . . وفى البيت أشياء ثمينة . . ان لى
الباقي ان اطالبكم بتعويض ، فانتم مدينون لى ، كما اننى

قد استعدت مسدسي ، فعدت لى السيطرة عليكم .
فامتقع وجه اللورد بروكنهيرست وقال : هذا اصرار منك

وانارة للعداء يا مستر ديل ، فقد اعتذرنا ، كما اننا على
استعداد لتعويضكم عن كل ضرر . . .

فقال لوبين فى تبسط وتلطف : تفضلاً بالجلوس ولا . .
ان التعويض الذى ابيه هو ان تجيبانى على بعض أسئلة أود

ان اوجهها قبل رحيلكم . .

الفصل الثالث

قال لوبين بعد برهة : اننى اشعر انكما قد تتألمان ، واننى

قد انكأ جراحا قديمة في أعماقكما ، ولكنني سمعت مستر جوميز يتمم : « كلما فكرت فيها وددت لو اختقه » فأدركت أن ثمة امرأة عزيزة عليه أصابها ضرر على يدي سميت . كما أنني أعجب لرجل ذي مكانة سامية ومرتبة من رببات الشرف مثل اللورد بروكنهيرست ، يقوم على خرق القانون وهو الذي يحترمه ، والذي كان يوسعه لو أن شرا أصابه ان يلجأ الى أعظم وأبرع هيئة عرفها التاريخ . الى سكوتلنديارد .

فهتف اللورد : لقد فعلت ، ولا أقول ان رجالها اخفقوا ، ولكنهم لم يستطيعوا ان يصلوا الى نتيجة ، إذ لم يك ثمة ما يهديهم في بادىء الأمر .

وقال جوميز في ألم : لقد أصبت في حدسك ، وانها لماساة محزنة ، بيد اننا لا نستطيع الإفشاء اليك بشيء .
- لست اضطر كما ، ولكنني أندركما انكما ان توفقا ما دمتا على جهل بأساليب الاجرام كما رايت .
فقال اللورد : اتعنى يا مستر ديل ان لك بها الماما ؟ ..

- انها هوايتي الوحيدة .. ولقد أعنت حكومتك في بعض القضايا الدولية الفامضة فليس بغريب ان افكر في ان ابدل لكما معونتي .

فصاح جوميز : اذن فانت الامريكى الذى سمعت عنه .؟ فتبادل لوبين وفيرا وصديقه نظرة مأكرة وقال : ربما يجوز . الواقع اننى قد لجأت الى الخمول امدا حتى مللت واصبحت أتوق الى ما يعيد الحركة الى ذهنى . وقد اوفق الى مساعدتكما .

قال اللورد : الواقع اننى افضل ان نتصرف كما جننا . - وهل يمكن هذا ؟ . الا دعائى احداثكما قليلا .. لقد

عرفت في مستر جوميز السنيور فينست ارجيللو المعروف في يوجانا ..

فبهت جوميز وصاح : اذن فقد عرفتنى ؟ .

وقال اللورد وقد اسقط في يده : اسمح لي ان اتحدث قليلا الى صديقى على انفراد ؟ .

- هناك حجرة البلياردو في الطرف الاقصى .

وما ان اتجها نحوها حتى نظرت فيرا وويلد نحوه في جزع وفاق ، ولكنه قال ايما : لا عليكما .. فلن يحساولا الاعتداء على .. انكما لا تجهلان قدرنى على قراءة خبايا النفوس ..

قالت فيرا : ولكن كيف عرفتهما ؟

- لقد رايت بروكنهيرست في كولونيا ، ولعبت البولو معه . واما ارجيللو فقد قرأت اسمه على حافة قبعتة . فتذكرت ان الصحف طالما رددته أثناء عقد صفقة البترول مع شركة شل في كولومبيا ومن ثم عرفت انه ليس نكرة في بوجوتا ..

وعاد ارجيللو واللورد . فما ان استقرا في مقعديهما حتى تنهد اللورد وقال :

- الواقع يا مستر ديل اننا لم نخفق في ابحالنا كما قد يخيل اليك .. كل ما هناك اننا خلطنا الامور فزدناها تعقيدا ..

فقال لوبين في هدوء : ذلك لانكما تسيران دون قائد بوجهكما .. اننى خبير في علم الاجرام .. ليس ثمة ما يدعوكما الى الخوف او التردد .. فكل ما عليكم ان تضعا ثقتهما في ثلاثة من الاصدقاء .

وقال اللورد : هل فيكم من يذكر انه قرأ عن حادث اختفاء ابنتى ليدي جوان كراتلى .. ؟ ذلك الاختفاء الغريب

بفياهم .. ولو صح هذا ، لكانت أخطر عصابة عرفت ،
ولكنني لا أكاد أرى بصيصا من النور يهدي الى الطريق ،
وهنا تظهر ميزة الهواة عن رجال البوليس ، فان هؤلاء لا
يعتمدون الا على الحقائق المادية ، ولا يستعملون شيئا من
الخيال في ربط الاحتمالات المختلفة .. ان الفكرة الوحيدة
الان هي ان ارسل وبعز يطوف بالمدن الكبرى ، عسى ان يظنه
احد مستر سميت المزعوم .

فتاملته فبرائم مآله :
- ولكن ، كيف تلوح مفتبها وانت لا تملك دليلا يهديك ؟
- ان براسي خطة تستدعي اشتراكك وويلد معي .. ان
لكما الخيار في ان ترفضا ، فلسوف يكون ثمة خطر ليس
بالقليل .. لئسني اريد ان احصل على معلومات داخلية عن
" المصيدة " التي تستعملها تلك العصابة ، اى ان ادفع بنفسى
الى الفخ ، وان افج فيه .. ولن يتسنى هذا الا اذا تقدم
احدكما بربو معونة العصابة ..
فصاحت فبرا : باللحظة الفظيعة ! .. اننى لا استطيع
يا لوبين ..

وقال وبلد : اننى افضل الموت على القبول ..
- ان نفس الوحي الذى ائدرنى بالخطر الجسام فى
الحديقة ، يؤكد لى ان هذه الخطة ناجحة ..
وانكب لوبين فى اليوم التالى على البحث فى الصحف
القديمة عن حادث اختطاف ابنة اللورد .. فقد خرجت
الفتاة التى كانت فى الرابعة والعشرين عن عمرها ، مع
صديقة لها فى سياره من قصر ابيها فى نيويورك فى صباح
احد ايام الصيف الى ميناء ليمنجتون على مسافة عشرة
اميال .. وبينما ذهبت الصديقة الى كنيسة البلدة تشاهد
آثارها ، قصدت ليدى جوان الى بعض المحال التجارية ..

ان يتفق المال لابعاد هذه عن طريقه .. ولكن الاقدار شلو
ان تموت زوجته قبل الاختطاف بيومين . وهو بعيد عنها
فلما علم وادرك مغبة عمله . اضطر الى الفرار حتى لا
اليه يد القانون .. لقد اخبرنى هو بكل هذه القصة .
عشرت عليه فى سان دييجو وهو يجتصر . وكان هو الذى
حدثنى عن سميت الذى زره يوما فى الغندق فى شيكاغو
وهو ينزل بها . فاطلمه على انه عليم بسر وصية جراندى
وعرض عليه ان يختطف زوجته .. وعن ثم عرفت
الاختطاف الذى حدث فى لندن دبرته يد هنا فى امريكا
فاقسمت ان انتقم ..

انصت لوبين برهة ثم سآله : ولكن كيف حصلت
صورة هذا الرجل ؟
- كان ذلك عن طريق الصدفة ، فقد اعانيها سانشي
الذى عثر عليها صدفة ايضا ، اذ نشرت احسدى صحفا
شيكاغو صورة سميت بين فريق من الناس فى حفلة العرس
الاولى لاحد الاشرطة السينمائية ، فظل يسمى حتى وافى
الى المصور فابتاع الاصل وعمد الى تكبيره ..

- ولكن ، كيف اجتمعت على اللورد بروكنهيرست ؟
- كنت اعرفه مذ كان ملحقا عسكريا فى باريس وكنت
امثل بلادى هناك .. فلما قص على سانشي قصة زوجة
انباتى ان سميت طمانه الى انها سمعينة اذ نقلت الى
تسودها الهشاء ، حيث تعرفت الى سيده تدعى ليدى جوان
كرالى .. ومن سميت للبط عن صديقى اللورد .
واذ هم اللورد وارجيلو ان ينصرفا ، دعاهما لوبين الى
العشاء فى الليلة التالية .. وعاد الى فبرا وصديقه فمك
برهة يفكر ثم قال :

- ان ما يدعشنى ان القصة توحى بان ثمة هيئة منظم
يتولاها مرده ملاعين لازالة المساكين من طريق من يشتقون

على ان تلتقيا لتذهبا للقاء صديقة نالثة لهما هي ارسولا
هيث ابنة المليونير الفيلادلفى جريجورى هيث ، التي قدمت
على يخت ابيها الذي كان يرسو في سويت . .

تم حدث ان تقابلت صديقة ليدي جوان وتدعى رونا
بارسولا ، وظلتا تبحثان عن جوان ، فما عمتا ان عثرتا
عليها فاذا هي تخبرهما انها قصدت الى يخت ابيها . وكان
يرسو في ليمنجتون لأمر ما . . وفيما كان الزورق البخارى
يقلها الى اليخت رات رجلين في زورق اخر يتأملانها خلال
منظارين مقربين . . ثم يحاولان اللحاق بزورقها . . لولا ان
تعطل محرك زورقهما .

ولكنها وصديقتها لم توليا القصة أهمية . . ولم يرين
ابلاغها للبوليس فلما منهن أن الرجلين من الشبان الطائشين
شاء ان يغازلا جوان . . ولا ريب انهما كانا في الواقع من
اعوان سميت . . اذ ما لبثت في الليلة التالية ان اختطفت
ليدي جوان . فقد قصدت مع صديقتها ووالدها الى حفلة
راقصة كبرى . . حتى اذا حان موعد الانصراف بحث عنها
والدها فلم يجد لها اثرا . .

فلما اقبل اللورد واجيللو لتناول العشاء في الليلة التالية
بادهما اوبين متسائلا :

- لقد كان ثمة داع لاختطاف مسز ارجيللو حتى تؤول
ثروتها لاختها فما الدوافع لاختطاف ليدي جوان ؟

فاجابه اللورد : لست ارى اقل حافز فان لقبى يؤول بعدى
الى ابن عمى سير روجر كارنلى وهو رجل من كبار ضباط
البحرية ولديه من القاب النبيل ما يكفيه . . كما ان جوان لم
تكن لها ثروة تقوى . تم انها لم تكن مخطوبة لاحد . . وان
كان هناك كثيرون من اسرى غرامها . .

فأطرق لوبين برهة ثم سأل : ألم تمت مس ارسولا
هيث فجأة ؟

- اجل ، اثناء وباء الانفلونزا الذى اجتاح انجلترا في
الخريف الذى اعقب اختفاء ابنتى . .

- لا تظننى احمق مفرورا ، فلقد اقدمت على الكثير من
المغامرات فيما سبق من عمري واتى لعظيم الثقة فى اننى
ساوفق الى اجتلاء غوامض هذه القضية وان لم اعثر بعد
على حل او دليل . . وكل ما ابغيه هو الحصول على اخر
صورة لليدي جوان .

واذ انصرف الضيفان . تحول لوبين الى سويرز ويد
قائلا ان لاسرتك اقارب فى فيلادلفيا . فعليك ان ترحل
الى هناك غدا فتعود الى بمعاومات عن جريجورى هيث ، وعمن
ينتفع من جراء موت ارسولا . وان تحاول الحصول على اخر
صورة لمس ارسولا ، او على اوصافها ممن يعرفها كل المعرفة . .
واحرص على ان لا تتبر فضول احد حول حر كاتك .

ورمقته قيرا فى اهتمام فقال لها : لا تعجبي ، فقد لعبت
الجولف مرة مع ارسولا وما زلت اذكر انها كانت فارعة
الطول ، زرقاء العينين حمراء الشعر . رفيعة ملتوفة القامة .
فصاحت قيرا : هذه نفس الاوصاف التى سمعتها من اللورد
عن ابنته وهو يحدثنى . . انظن ان ليدي جوان اختطفت خطأ
بدلا من مس ارسولا . . لقد كانتا معا فى الحفلة . .

- لم اؤكد بعد ، ولكن ثمة خطبة فى راسى تختمر . .
لا تعارضى . انك لتعرفين كيف حصلت على ثروتى . فلا بد
لى من ان اتفق بعضها زكاة عنها . . رفهى عنك يا عزيزتى . .
فانا فى حاجة لمساعدتك . .

- ولكنك تخاطر بنفسك . وما اظنك تزعم ان العصبية
غافلة عن جهود ارجيللو واللورد فى البحث عنها . وان افرادها
من الغفلة بحيث لم يتعقبوها . . حتى هنا . . ؟

- لقد فكرت فى كل هذا . ولكن . . اتذكرين مور . .

ذلك البوليس السرى الخاص الذى ساعدنى اخيرا . . .
لسوف انوط به مراقبة البيت . . . ان فى نفسى يقينا من ان
الضحيتين ما زالتا على قيد الحياة . . . ويزيد من هذا ما ذكره
سانتشييه عن ان سميت اخبره ان الضحايا يعيشون فى سعادة
وان مسز ارجيللو قد تصادقت مع ليدى جوان . . . اؤكد لك
يا فيرا انها ستكون مغامرة مشوقة رائعة . ولا يحزنك ما
قررت من الاندفاع الى الفخ . فلسوف اجعل اصدقائى على
اتصال بانازى اينما ذهبت . . .

الفصل الرابع

بعد يوهين وكان لدى توين صوربان لارسولا هيث وجوان
كارنلى ، فاذا بالفارق بين الفتانين لا يتعدى ان اوليهما عينين
رماديتين ، بينما كانت عينا الاخرى زرقاوين . اما فيما عدا
هذا ، فكان السبه بينهما يكاد لا يعتوره شيء من النقص .
وادرك لوبين ما تقرير ويلد ان خال ارسولا ، كان اول من
ينتفع من جراء موتها ، فما ان ماتت حتى ابتاع بيرى سترانج
- وهذا اسمه - قصر كونيبنجتن وارن فى مونتسيو . وكان
من العجيب ان يجتمع خال ارسولا بالشاهد الذى ادى لارجياوا
بتفاصيل اختفاء زوجته ! وكان ثمة نزاع بين سترانج ووالدة
ارسولا حول الميراث الذى آل اليهما عن والدهما ، وهو نزاع
جعل جريجورى هيث يدفع اليه نصيبه من الميراث ، ثم يسأله
ان لا يزور بيته بعد ذلك ، ففصرت بينهما القطيعة .
وقال ويلد معقبا :

لقد كان بيرى موضع اعجابى فى حدائتى اذ كان قويا ،
ضخم الجسم . . .

وجلس لوبين صامتا يرسم بعض خطوط بقلمه ، ما لبث
ان انتظم منها رسم كاريكاتورى لهوراس ويمز بجسمه

السمين ووجهه العريض وعينيه الصغيرتين ، ثم قال :
- هذا اللدقن يجب ان يبرز قليلا ، وهذا الغم يبقين ان يتم
عن العزم والصلابة ومن ثم يزداد ويمز اقترابا من سميت . . .
وكانت الخطة التى وضعها لوبين قد اختصرت . . . كان على
ويلد ان يزوده بخطاب يقدمه فيه الى مستر بيرى سترانج على
انه انجليزى متر يدعى مارتن ديل يريد ان يبتاع بعض الاراضى
وقصرا فى فيلادلفيا ومن ثم يرحل لوبين ومعه ويمز الى فيلادلفيا
. . . بينما يتعمد ويلد فيرا الظهور فى المسارح والمجتمعات فى
ابهى زينتها ، كما لو كانا ينتهزان فرصة غياب لوبين لينهلا
من مورد سعادة حرمت عليهما . . . فاذا كان لسترانج يد فى
اختطاف جوان كارنلى بدلا من ارسولا هيث ابنة اخته ، التى
كان يهيم التخلص منها ليرتها ، فلا ريب ان هذا الخطا يتقل
ضميره لانه لم يعد فى وسع مختطفى جوان ان يردوها حرصا
على اسرارهم . ولذا ، كان من المتوقع ان يتولى سترانج الدر
اذا لاح له وجه سميت . . .

قال ويلد : ولكنك لا تعرف الرجل . . . انه خبيث ماكر ،
طالما لعب بالخير . . .

فقالت فيرا : اتظنك مستطيعا تحويله عن رايه يا سويز . . .
انك تعرف صلابة رأسه وتصميمه .

وما انقضت خمسة ايام ، حتى كان لوبين فى قصر مستر
سترانج يقدم اليه الخطاب الذى زوده به سويز ويلد . . . فاذا
مستر سترانج شخص طويل القامة ، عالى المنكبين عريضهما ،
انيق الملابس ، تتبدى فى اخلاقه تلك الخلة التى تتملك اوائك
الذين لا يألون جهدا فى التقرب الى من هم اعلى منهم مكانة ،
سعيامنهم الى رفع انفسهم فوق المستوى الذى خلقوا عنده . . .
شان كل من عرف الغنى حديثا . . . وادرك لوبين وهو يتأمله
ان من المحتمل ان يتقلب هذا الرجل اذا اخرج الى شخص

خطر . فقد كانت القسوة تخلف جذوة في عينيه أحمد أوارها
مؤثرا . . . وسرعان ما وفق لوبين إلى اكتساب قلب الرجل في
لباقة ، فاذا هما في الامسية التالية لتعارفهما . . . يلعبان
البيليارد في نادي مونتسيتو . . . وكان سترانج يحدث لوبين
في اشراج . . . ينبئه عن عزمه على الرحيل إلى إنجلترا في
الموسم القادم ويسأله أن يقدمه إلى بعض عليه القوم هناك . .
حين توقف فجأة . . . وطفى الدعر على وجهه . . . وهو ينظر إلى
الباب القاتم وراء لوبين . . . وسأله هذا متصنعا الدهشة . .
واجابه الرجل وهو يشير بأصبع مرتجفة نحو الباب :
ذلك الرجل . . . آه . . . انك لم تراه . . .

فاندفع لوبين نحو الباب . . . ثم عاد بعد ثوان يقول :
- ليس هناك من مخلوق . . .
فقال الرجل :

- ولكنني رأيته بعيني رأسي . . . ولاحظت انك نظرت نحوه
بضع ثوان . . .
واحس بنظرات لوبين تغمره . . . ثم سمعه يسأله في لهجة
المعتاد : لا اظنك تتعاطى مخدرا ما . . . ؟

- محال . . . لقد رأيته بعيني . . . ولكنني لم اك انتظر ان اراه
وهذا سر ما تولاني . . .

- لعلك ممن وهبوا المقدره على رؤية مالا يستطيع غيرهم
رؤياه . . . لا تعجب . . . فالعلم الحديث يقر الاتصال بالارواح
. . . ولكن . . . اكان هذا الشخص من اقاربك أو أصدقائك ؟
- كلا . . . كلا . . .

- يقال ان ارواح الموتى تبدو احيانا للأحياء . . . وانها في
بعض حالات تكون نذيرا بالموت . . . ولكنني لا اظنك ارتكبت
يوما جريمة تقلق الأرواح النائمة . . . انه امر غريب جدا . . .

ن شهر عدا الغريب قد انار ذعرك حتى لكأنك لمت ينظر
سبح محسن اعلمته . . .

رأى لوبين على ان يرافق الرجل إلى قصره ليطمئن على سلامته
. . . رغم ان سترانج حاول التحصن منه في الاحج صاهر جلي . . .
ووضع ان وبيين فان مندفعاً في ييار الحطه اسى وصعبا . . .
اد ان قد صحب معه ويمر إلى فلادغيا . . . فامره بالاختفاء
عن الانظار في حجرته في الفندق . . . لا يغادرها الا في وقت
المساء . . . ليتسلسل إلى النادي . . . فيبدو امام عيني سترانج
يحدث فيه نبضع بوان . . . ثم يختفى ليعود إلى نيويورك في وون
قطار . . . وينتظر عودة لوبين . . . ونجحت الحطه . . . ودرك
لوبين ان خير فرصه له . . . هي في ذلك المساء . . . واعصاب
سترانج ما زالت متوترة اثر المفاجاة . . . ليحاول ان يستل منه
السر الذي يسعى اليه . . .

وقال وبيين لسترانج عندما عاد هذا إلى حجره المكتبه بعد
ان خلفه فيها وحيدا برهه :

- مستر سترانج ، اننى لا اميل للمدعاية السخيفة التي كان
يمكن ان تبعث الدعر في نفسى لولا اننى لست من الرجال ذوي
الاعصاب الضعيفة .

فصاح سترانج مندعشا : ماذا ؟ ماذا تعنى ؟
- لقد رأيت مخلوقا ينظر إلى من انباب المظلم القاتم في
نهاية الحجرة ، فكانت مفاجاة غير سارة . انها حياله . . .
مستساغة ، فما كنت بالرجل الذي تخشى ان يسرق شيئا من
تحفك .

- كيف هذا ؟ . لم يك في الحجرة سواك . ومع ذلك
فساسأل الخادم .

ودق الجرس ، ثم سأل الخادم عن كان في الحجرة المجاورة
فلما اجابه ان ليس فيها مخلوق ، امره ان يضيء النور فيها

ويبحث في أبحاثها . ولكنه لم يجد أحدا . فعاد يقول :
.. ان السيد واهم يا سيدي ..

فتحول لوبين الى صاحب الدار بعد انصراف الخادم قائلا :
لم اشأ ان اجادل خادمك ، اذ طرأ بيالى انك ربما كنت تبغى
الا يعرف شيئا .

فصاح سترانج في حدة : يا لله ! وما هذا الشيء ؟

- لا داعى لذكرة اذا كنت وانقا ان احدا لم يك هنا سوى
ولكن ، هل تظن هذا القصر مسكونا بالارواح ؟
- اننى لا اؤمن ان الارواح تسكن قصورا ..

فشرع لوبين في حديث طويل عبثا حاول سترانج تحويله
عنه ، يشرح له خلاله كيف ان المرء اذا قتل شخصا او اساء
الى مخلوق ، او اصاب بالفنن امرا ، فان روح القتييل
او المساء اليه او المغبون لا تلبث ان تطارد ذلك المرء وتظهر له
كى تقلق راحته وهدوءه .. بل ان الروح قد تقضي عليه فى
بعض الأحيان انتقاما لصاحبها .

وهذا الحديث بأعصاب سترانج ، واثار فى نفسه دعرا
طاغيا ، تبدى فى تلك اللهجة الغاضبة التى راح يذكر فيها
للوبين انه ضيف غير مرغوب فى بقائه فى البيت .. ولكن
لوبين تعمد ان لا يابه لقوله ، بل مضى فى حديثه والرجل
يكاد يجن :

- ان ظهور ارواح القتلى واشباحهم ظاهرة عادية ، حتى انى
لا فكر احيانا فى ان القتلة لو عرفوا بما لقلت حوادث الاغتيال
.. فان ظهور هذه الاشباح يحمل هؤلاء القتلة الى الجنون .
مما يدفع بهم فى كثير من الحالات الى التخلص من الحياة .

ومضى يقص عليه قصص حوادث من هذا القبيل ، زادت من
فزع الرجل .. ثم قال : لا تدهش من حديثى هذا ولا تغضب ،
فانت لا تتصور كم نتأثر احيانا بأولئك الذين يمرون بحياتنا ،

وربما كنت الليلة ، وعلى غير وعى منى ، وسيظا لاحسدى
الارواح انقل اليك حديثها ..
فصاح الرجل مدعورا : لى ؟ بحق الجحيم ، ما هذا
الهدر ؟

- لسوف اعد بحثا فى هذا الموضوع لعهد الابحاث الروحانية
وساسوق خلاله قصة الشبح الذى رأته فى بيتك ، فى الحجرة
المجاورة ، ولكنى طبعا لن اذكر اسمك صريحا ، بل سأطلق
عليك اسما اخر .. سميت .

فكان سترانج يقفز من مقعده لولا ان تشبث به ، وبذل جهدا
جبارا حتى تمالك جأشه وقال : اسم لا بأس به على ما اعتقد
.. ولعلك ستطلق على القصة « الرجل الغامض فى منزل
سميت ؟ »

- هانتذا تخطيء ، فمن ادراك انه رجل ؟
- لقد قلت ذلك بنفسك ..

- يا عزيزى مستر سترانج ، اننا غالبا كتب مغلقة لا تنفذ
اليها أعين الغير ، فان لنا غريزة واقية تدفعنا الى الحرص على
ان تغلق كتبنا عن غيرنا .. ان ما ذكره ويلد عنك كان قسما
ضئلا بالنسبة للكثير الذى لو عرفه لدهش له .. ان الشبح
الذى رأته كان لامرأة ..

قال سترانج متهمكا : ولعلك ستقول انها كانت شابة
وجميلة ..

- هو كذلك .. وحزينة ايضا .. حتى لقد بعثت نظراتها
الرهبة فى نفسى .. انك تتهمك لتبعث فى نفسك شيئا من
الطمأنينة ، ولكن دعنى اصارحك ان ظهور شبح هذه المرأة
جعلنى أفكر فى ان فى حياتك ما اقلق هذه الروح البائسة
المعدبة ..

وراح سترانج يغالب فزعه ثم قال :

- اتعنى ان هذه الروح التي تزعم ظهورها قد جاءت تتهمني .
- اذا لم يك هذا فما الذي يخيفك ؟ . انك خائف . .
اننى ارى الذعر في عينيك . .

- انك غريب وايم الحق . . فهل لك ان تصف لى هذه
المرأة ؟ . .

- ليس فى وسعى وصفها بالالفاظ ، ولكننى سارسم لك
شكلا كريكاتوريا لها .

ودون استئذان خطا الى المكتب فتناول قلما وورقة ، ووقف
يفكر بضع دقائق والقلق والذعر يزدادان من سترانج تملكا .
ثم الكب لوبين يرسم الشكل . وعاد يقول :

- وبهذه المناسبة ، يلوح لى ان رؤيتك شخصا فى النادي ،
لم تستطع عيناي رؤياه لحالة اخرى من هذه الحالات التى

يتعذر فيها الشرح . انك ولا ريب من اولئك الاشخاص الذين
تلجأ اليهم الارواح الشقية لتستخدمهم فى ابراز رسائلها فى

الصور المادية . آه ، هانذا تجول بعينيك فى الحجرة خائفا .
ارأيت اننى لم اك اهذى فى قولى ان هذه الظلال المحيطة

بالدائرة الضيقة التى يضيئها المصباح . هذه الظلال القائمة
تبدو كاشباح طويلة تبسط ذراعها لتنتزعك من مكانك . .

ولكن ، اتعرف صاحبة هذا الرسم ؟

وبدا صوت لوبين جاقا آمرا وهو يدفع اليه الصورة التى
رسمها فى عداا ظاهر ، فما وقعت عليها عيننا سترانج حتى

ندت عنه بالرغم منه ضيحة جرعة خافتة . وتداعت مقاومته .
وخارت عزيمته . واحس انه يابه اخيرا شخصا ارسلته

اليه الاقدار الخفية ليسأله الحساب عما اتى من اعمال . .
وقال لوبين : ارى انك تعرفها انها ضحيتك . جوان كارولى

التي احتفظها اعوانك ذات ليلة فى نيوفورست ظنا منهم انها

ارسولا ابنة شقيقتك . اننى اعرف ذلك الوجه الذى تبدي لك
فى النادي . انه وجه سميت ، فقد احضرته الى مونتسيو .

فشوق سترانج ، وقال وقد تبدي استسلامه : وماذا تريد
منى ؟ . .

- ان تقول الحق ، لمصلحتك . هناك بعض نقط فى قصة
سميت اريد التاكيد من صدقها : فى اى عنوان قابلته اول

مرة ؟ . .

- فى « بناية اميرن » بشارع باين ، بنيويورك .

- والى اين ياخذ ضحاياه ؟ . .

- لقد ابى ان يطلعنى . .

- اذن قدعنى اذكر لك ان نجاتك معلقة على امر واحد . .
على اعتراف صريح مستفيض بكل شىء . .

وحاول سترانج ان يتهرب ، حتى اذا سد لوبين فى وجهه
كل المسالك ، كانت قواه قد خارت ، وتبدي فى حالة مؤلمة

لان لها قلب لوبين . . القلب الجامد الجاحد الذى ما كان
ليلين فى اكثر المواقف رهبة وفضاعة . فتركه على ان يستمع

الى اعترافه فى الغد . وان ارسل الى فيرا فى نفس الليلة
خطابا بعنوان سميت لتسلمه الى المخبر الخاص مور . ولكنه

عندما عاد فى اليوم التالى وجد ان بيرى سترانج قد قتل نفسه
قبل مقدمه بدقائق . .

بيد ان لوبين عاد الى نيويورك وقد حصل من الشكوك التى
كانت تحوم فى رأسه على نسيج يفيد منه .

الفصل الخامس

كان دافيد مور من المخبرين القليلين الذين حازوا اعجاب
لوبين وتقديره ، حتى انه لم يتردد عن الاستعانة بجهوده فى

بعض مقامراته الاخيرة . . فقد كان مور من الناس الذين
لا ينساقون وراء الاوهام ، والذين لا يترددون عن السير وراء

لديها معه ، ومن ثم يغدر في وسعكم اقتناص العصبية ..
لكنك ينبغي ان تكون صريحا والا رفض سميت الصفة مهما
تعت له ، اذا اشتم ما يريه ..

وبعد ايام ، وقف سوزن امام مسكن جورج سميت ، يتأهب
للمغامرة ، ويحاول التقلب على اضطرابه ، والتظاهر بمظهر
الخائف الذي يخشى ان يكون ثمة من يراقبه ، ثم هز باب
مسكن ، وسرعان ما سمع وقع اقدام رأى بعدها سميت ينظر
ليه خلال عينييه الضيقتين الفاحصتين . حتى اذا اطمان دعاه
الى الدخول في تल्पف ، فاذا هو في مكتب وتير الاثاث ، وان
يجو شيئا يساعد على الاحتفاظ له بصورة خاصة في
الذاكرة .. وبادره سميت بحديث رقيق متشعب فتناولوا ورا
كثيرة ، وقدم اليه سيجارا فخما ايقا ، كأنما يساعده
الاطمنان ، والتخلص من كل ما يبعث القلق والانفعال في
نفسه . واخيرا سأل :

اني لاسائل نفسي ، هل هناك اصداق مشتركون لكلينا
اعتنى اصداق لي هم في نفس الوقت من اصحابك ؟
وكان ويلد طيلة الوقت يدرس مظهره ويحاول الوصول الى
اصحاب نفسه .. ولكنه يادر يجيبه :

اطن ذلك . لقد كنت اقوم ببعض صفقات آبار البترول
بوجوتا ، حين التقيت بصديق نصحتني ان اصعد عليك
ولكنما وجدت نفسي في حاجة الى استثمار اموالي في اي مشروع
وما اسم هذا الصديق ؟

سانشيه .
يا للصديق المسكين . لقد بلغني انه مات .. وكيف
عرفته ؟

يحسن ان ابقى هذا سرا حتى يتوطد التعارف بيننا ،
كل ما اذكره لك انني اعرف انه كان سيغدر مدينا المعوناتك

ما يريهم حتى يصلوا اخيرا الى اليقين والحقيقة ..
لذلك كان لوبين مطمئنا كل الاطمئنان على التقرير
قدمه اليه عند عودته ، عن سميت فقد جرؤ فزار سميت عن
مندوب احدي الشركات التجارية جاء يعرض عليه منتج
شركته ، فاذا به يقطن في مسكن لا تليفون فيه ولا خادم
استأجره لعام انصرمت منه ستة اشهر ، فكان لزواره ان
مطمئنين الى ان احدا لن يراهم او يعرفهم .
وزأى مور فيه رجلا حازم التصرف ، حريصا على ان لا
اهتمام احد بأمره ..

وقال لوبين اذ انتهى من قراءة تقرير مور : ها قد
يا سوزن كل ما يهمك عن سميت ، حتى اذا حالت السميت
الملائمة ، امكلك ان تزوره مزودا بما يساعدك على اتقان
لقد حجزت ثلاثة مقاعد في حفلة افتتاح مسرح برودواي
ولكن مقعدى سيتأخر عن مقعدك ومقعد فيرا باربعة صفوف
وسيكون الى احد الجانبين ، حتى ابدر كالزوج المهجور ..

مهلا ، لا تعترض انت وفيرا ، فهكذا يتطلب منكما دورا
في المغامرة ، ولا بد لكما من مساعدتي ، حتى تنفذ
يعيشون في عداد الاموات ، فان لدى شبه يقين ان
ستنجح .. وفي هذه الحفلة التي لا يتأخر عن حضورها
مخلوق ، سيحدث احد امرين .. اما ان يسعى سميت اليك
لمساعدتكما في التخلص من الزوج البغيض ، واما ان يسأل

اليه سوزن بسأله العون لازاحتى عن طريقه حتى يتزوج فيرا
فصاح ويلد : ولكن .. هب انهم اخذوك الى حيث لا يمكنك
الرجوع قط ! .. اننى اذ ذلك لن ارتاح وانا ارى نفسي عرفتة ؟

موقف القائل ، كما ان فيرا استمقتنى وقد تشكرنى الى البوليس
فيموت عمى لفرط خوفه من القضيحة والعار !
ولكننى سأعود ، اذ سأجعل مور في احدى بطريقتي

بكل ثروته . لولا ان دورة من دورات المحط افقدته حسنة
الثروة .

- هذا يكفين ، ولكن ، الا ترى ان بطاقتك ليست اثباتا كما
لشخصيتك ؟

- هناك جواز سفرى ، وقبعتى ، ودفتى رصيدي فى المصروف
كلها تحمل اسمى .

فتقدم سميت يفحصها فى اهتمام ، ثم تحول يساله : وكيف
يمكننى خدمتك ؟ اننى اعيش كى اساعد الاخرين ، فبم
جئتنى لامر يتصل بعمك ؟

- كلا ، ولكنه يختص بى وحدى .

ثم تلفت حوله فى حذر كأنها يستوثق ان احدا غير سميت
لا يسمعه . ثم انطلق يقول له ان اقصى امانى عمه ان يرا
متزوجا مستقرا فى حياته ، فهو يخشى ان يثير مسلكه فضيحة
تشوه الاسرة ، ومن ثم كان لا بد ان يلجأ اليه يساله معونته
بعد ان تحدثت الصحف كثيرا فى الايام الاخيرة عن علاقتنا
بسيده متزوجة . فان الذى يعتكر عليه وحبيبته صفو هناء بهم
ان زوجها لن يقبل ان يطلقها ، وحتى انه لو فعل فان عمه
يحتمل ان يذكر اسمه فى قضية طلاق .

وقال سميت : المساله بسيطة . . هذا الزوج يقف معترض
سبيل شخصين نحو السعادة . . هذا امر جد سيء ، فماذا
اعتزمتم ؟

قال ويلد متلعثما : ظننت . . فكرت . . اعنى استنتجت
من حديث سانشيه انك . .

- لتدخل فى الصفقة راسا . . فاذا لم يك فى وسعك ان
تدفع عمولتى ، ففى وسعى ان انسى كل شىء . .

- فى امكانى ان استحوذ على سبعين الف دولار فى اية
ساعة شئت . .

فاشرق وجه سميت وقال : الا ترى انك حسن الحظ . .
ان المغامرة ستتكلف حوالى هذا المبلغ . . خمسون الف للمعملية
ثم هناك بعض النفقات . . وعمولتى . .

وتبدى فى حركات الرجل وبريق عينيه ما بعث الذعر الى
قلب ويلد . . حتى خيل اليه ان الاكذوبة لن تلبث ان تقود الى
ماساة . . ولكنه كان مضطرا الى الانصياع لتعليمات رئيسه
. . وحاول ان يساوم سميت . . ولكن هذا ابى ان يتزحزح
عن المبلغ الذى طلبه . . فقال ويلد اخيرا :

- حسنا . . ولكن . . اتظن انه لن يحدث ما يعترض خطتكم
ويعرقلها . . ؟

- اننى واثق من حسن استعداد جماعتنا . . ان هناك كثيرين
يعملون معى . . وقد سجلت مغامراتنا السابقة نجاحا مستمرا
لنا . . فاذا قبلت . . فلا بد لى من ان ارى الرجل من حيث
لا يرانى . . ومن ثم امد زملائى بكل ما يلزم عنه . . ولكن
بشرط واحد . بشرط ان اتسلم المبلغ كله نقدا قبسل اية
حركة .

واحس ويلد ان الرجل يرقبه فى انتباه . . فعاد يندمج فى

دوره وساله :

- وماذا يحدث له بعد ذلك ؟ . .

- بعد ذلك . . يسدل الستار ! . .

- اننى لا اود ان تقتل روح من اجلى . .

- وما كان فى وسعك ان تجد هنا من يعينك على القتل . .
اننا لا نطفئ الشعلة الحيوية ، فان الرئيس يحرس على ان
تكون مؤسسته كمعمل يقوم لدراسة العواطف الانسانية . .

- ومتى استطيع ان اراه ؟ . .

فضحك سميت فى خبث قائلا : عندما يدفع شخص خمسين

الف دولار لازاحتك عن طريقه وانتخابك عضوا في مؤسسه
انه ليوم اسود ذلك الذي تراه فيه ..
فقال في اشفاق : يخيل الى انكم تتعرضون لافظع الاخط
- تحطى الظن ، فنحن على حذر ، لا نطلع احد على سر
نحتفظ بسجلات ولا نستطيع مصلحة الضرائب او الاتيان
السجل التجارى ان تسألنى ان اعرض عليها اعمالى ..
مكتبى طابع مكاتب الاعمال .. كما ان ماضى نقى نظيف
لا تزغ ، فانما انت تضمن مستقبل صديقك حين تعهد
الينا .. ان معظم ضيوفنا يتوردون فى بادى الامر ويس
للمقرار ثم لا يلبثون ان يستسلموا ويقبلوا على شعارنا « اجد
وعنواننا » مدينة الكرم الحامى ..
فنهض وولد قائلا : ساسير عدا فى الساعة الثالثة والثلث
الخمسين امام نادى متروبوليتان ، وسيكون صديقى . ريد
مارتن ديل ، معى .. وهو رجل امريكى طويل اسمر رقيق
الملامح ، وجهه القسمات . ثم تقصد الى مشرب شاي « ما
اليز ، حيث تقابل مسز ديل .
- حسنا . احضر فى مثل هذا الوقت يوم الخميس
المبلغ فايدأ عملى الذى سيتكلف اكثر مما تظن ..
وتعمد وولد بعد خروجه ان يعرج على النادى حتى
اذا اقتفى آثاره سميت ، ان يرتاب فى علاقته بلويين . وفي
موعد العشاء ، استقل سيارته وانطلق بها فى طرق متعرج
مضللا من قد يتبعه ، حتى وصل الى دار لويين ، فاقضى
بكل كلمة دارت بينه وبين سميت ..
وقال لويين اخيرا : وهل صدقت كل قوله عن مؤسستهم
لقد تعمد ان يحملك على الاعتقاد بانها تقوم وسط مدينة كبير
ولكن من الجلى ان المدينة المناسبة لها ، هى تلك التى ته
حول دورها اسوار عالية تحجب عن الخارج ما يحدث داخل

مثل لندن . فهى اذن احدى مدن الدنيا القديمة ولن يعقل ان
تكون احدى مدن امريكا . اما عن موعدك غدا مع سميت ..
فساتفق مع مور على ان يتنكر وينطلق فى اثرنا متظاهرا بأنه
بائع فقير متجول يتجر بالاقلام ..
ولانت دهشة وولد لا تقدرحين عاده الى سميت يوم الخميس ،
فاذا عدا يعرض عليه ست صور مكبرة للويين فى اوضاع
مختلفة .. وعلم اخيرا .. ان هذا ارسل احد اعوانه باحدى
الات السبعمائة الدقيقة الى مشرب الشاي يوم الثقى وولد
لويين فيه بغيرا .. فالتقط هذه الصور .. وقبل ان ينصرف
وولد .. التقى اليه سميت بتعليماته الاخيرة .. فامر ان
يحمل صديقه .. باغراء من الزوجة الخائنة .. على السفر
الى اوربا .. فان الدار المعدة للمختطفين تقوم فى احسدى
مدنها ..
واستطرد سميت قائلا : انا اليوم فى الخامس من يونيو ..
فى مساء السابع والعشرين منه .. ادع مستر ومسز ديل
الى العشاء فى فندق ساقوى بلندن .. ولما كانت المواعد تحجز
هناك قبل الموعد بايام . كذلك لا نتوقع ان نعمل فى الموعد
المحدد .. فقد نرى من الملائم ان نقوم بعملنا قبله او بعده ..
ولا يجب ان تشير انت وانت ومسز ديل ضجة حول اختفاء
مسز ديل قبل مضى اربع وعشرين ساعة .
فلما عاد وولد الى لويين بهذه الاتباء .. قرر عدا ان يحجز
له ولغيرا فى الغد مكانا على اول باخرة راحلة .. على ان يرحل
سويز وولد على باخرة اخرى ..

الفصل السادس

وصل لويين وغيرا الى لندن فى اليوم الثانى والعشرين من
يونيو .. فنزلا على فندق ساقوى . وما لبث سويز وولد ان
لحق بهما فى اليوم التالى فهبط على فندق كلاريدج .. وفى

الدرجة الثانية ، وعلى نفس الباخرة التي اقلته ، قدم مور
متنكرا .

وما كاد لوبين يتناول عشاءه يوم وصوله ، حتى اتصل
بصديق له يعزه كل معزة . . يحمل اليه نبأ مقدمه ، ويعدده ان
يتناول العشاء على مائدته في اليوم التالي .

وكان الان يقف على ابواب المغامرة الجديدة ، فكان القلق
يستحوذ على فيرا ويقض هليها مضجعا . . وقالت له وهي
تحاول ان تشيه عن عزمه : انك تعرف الان مقر سميت ، فلم
لا تتصل بالبوليس ليقبض عليه ؟

فاجابها : لقد اخلي سميت مكتبه ، وقد تاكد مور بنفسه من
ذلك . . ولو اننا ابلغنا البوليس لما كان عملنا اكثر من انداز
للعصبة بالخطر الذي نعهده لها . . الم ينفق بروكنهيرست
وارجيللو المال جزافا على رجال البوليس السري الحكوميين
منهم والخصوصيين دون ان يوفقوا الى ثمرة ؟ . . لسوف
تعلمين وسويز ويلد باختطافي ، وساترك خلفي كل ما يمكنني
تركه لمور ليهتدي الى آتاري ، كما ان لي من حياتي السابقة
الخبرة التي تمناني افضل غيري ممن حاولوا استجلاء
غوامض هذه القضية .

- وهل أنت بحاجة الى مغامرة جديدة ؟

- ان الظاهر يدعو الى اجابتك بالنفي ، ولكنك تعرفين ان
القانون لا ينسى ولا يصفح ، فكان لا يد لي من عمل يجعلني اقف
منه موقف المساوم . . لقد شكرتني رسميا خمس حكومات اذ
استعدت لها ما سرق من اسرارها . . ولقد رفضت ما اعدت
من مكافآت وطلبت اتفاقها على اوجه الخير . . ثم ، بقي ان
انجح في هذه القضية الكبرى ، ومن ثم يغدو في وسعي ان
اساوم العدالة على حريتي مطمئنا . .
وكانت فيرا جزعة خائفة . ولكنها لم تر ازاء اصراره سوى

الوقوف الى جواره . والمضى في تكريس مساعداتها له . .
فلما كان مساء الغد ، ذهب لوبين الى صديقه وفاء بموعده

. . فاحست فيرا انها في حاجة الى النوم مبكرة ، فأتت الى
فراشها ، ولكن عبثا حاولت استجلاب النوم الى عينيها ، اذ
راحت الافكار تطارده ، فلم تلبث ان غادرت فراشها ، ووقفت
في نافذة حجرتها تطل على نهر التيمز وهي تحس قلقا خفيا .

حتى اذا انتصف الليل ، فوجئت بجرس التليفون يدعوها ،
فاذا بالمتكلم صديق لوبين ، يسألها سر تأخره وعدم بره
بموعه . واوشكت ان تصيح جزعة ، ولكنها تذكرت امر

لوبين بتكتم اختفائه حتى تمضي اربع وعشرون ساعة ، وايقنت
ان العوامل التي اعتمد لوبين عليها في خطته قد خانتها كما كان
قلبا يحدثها ، وان اعداءه قد سبقوه الى العمل . وفي جهد
تمالكت نفسها واعتذرت للصديق بأن دعوة فجائية اضطرت
لوبين الى عدم البر بموعده وما ابر وضعت السماعاة ، حتى عادت
ترفعها وتطلب ويلد في فندق كلاريدج وبمور في نزل
بلومسبري مزجية اليهما النبأ ، فاقبلا مسرعين .

وبادرتيها في صوت جزع : لقد اختطفوه . . فبعد التاسعة
بقليل استاجر سيارة لتنقله الى شارع جرعين ، ولكنه لم يصل
الى هناك .

وطاف الرجلان بمستشفيات المدينة ومراكز بوليسها ،
خشية ان يكون تغيبه نتيجة حادث ما ، ولكنهما عادا مخفقين .
ووجد مور نفسه في حيرة ، فقد كان يعتمد على الآثار التي
وعده لوبين ان يتركها في طريقه لترشده الى اتاعه . فاذا
هو عاجز عن الاطمئنان الى مصير الرجل الذي كان رحيما
به . . وتبدى ويلد مذهولا مفاجوا .

اما لوبين فما كاد يصعد الى السيارة التي استدعاها له خادم
الفندق ، حتى احس بأعصابه تغدو جد مرهفة . . وبهاجس في

اعماقه يوحى اليه بالريب .. ولكنه عزا ذلك الى المغامرة التي كان متوقفا حدوثها بعد ايام قلائل .

ومضى يفكر في الخطة التي سيتبعها كل من فيرا وويارد ومور .. واخذ يراجع كل دقيقة في تدبيره .. حتى لا تؤدي غلطة نافية الى انسداد كل شيء ..

والقى عرضا نظرة خلال السيارة الزجاجية .. فاذا هو في شارع جرمن فاخذ يتأمل ما حوله ، شارع الدوق .. ثم ميدان بينكاديللي عن كتب . ثم عاد الى افكاره فاذا بالسيارة تقف بعد برهة امام مبنى قديم .. وجد عنده خادما قاده الى الداخل خلال ممر طويل .. الى سلم واسع .. ثم افضيا الى ردهة فسارا حتى باب احد الشقق .

وساله لوبين : أهنا صديقي سير جريفيث وادهام ؟
فاجابه : أجل يا سيدي .. معذرة .. فائني عائد لحراسة باب البيت .

وضغط لوبين زرا مثبتا بجانب الباب .. فاذا بالباب يفتح أو توماتيكيا .. فنظنا الى ردهة معتمة .. وما ان عاد الباب يغلق خلفه .. حتى ايقن أنه وقع في فخ اعد لاصطياده .. فأمسك بالباب يهزه .. فاذا هو متين منيع .. وفجأة .. أحس بيدين قويتين تقيدان حركة ذراعيه وتشلهما .. ثم اذا به يدفع الى حجرة ذات أثاث وثير .. جلس فيها رجلان .. أحدهما متوسط القامة عريض الصدر ضخم اليدين .. يبدو من مظهره أنه من رجال البحار .. بينما كان ثانيهما لا يتعدى الثلاثين من عمره نحिला .. اشقر .. انيقا .. في لباس السهرة .. ذكره مرآة بصديقه سوينز ويولد .

وقال الاخير في لهجة ودية : عم مساء يا صديقي .. لعبة نظيفة ، اليس كذلك ؟

وتقدم الاخير يفتش جيوبه ، وهو ما زال مقيد الذراعين ،

ويبتزغ مسدسه ، ثم دفعه الشخص الذي فاجاه ، الى احد المقاعد الكبيرة فتحول يتسائله فاذا هو ضخم الجثة ، كت المحية ، ورأى انه غير مسلح . وبين ثلاثة من اعدائه ، فكبح جماح غضبه وتحول يقبول : في أي مستشفى للمجاذيب انا ؟ ..

فاجابه الشاب النحيل : لعمرى ، انه اهدأ عميل صادفناه ، الا دعنى اقدمك لزيميل . فهذا الذي فاجأك وشمل حركة ذراعيك هو طبيب وجراح مؤسسنا ، وكان يوما ما من كبار الاطباء الباحثين في كلية أدنبره ، ويدعى كولينز ، وهو لا يميل للمزاج فاحذره . اما هذا الآخر فالكابتن هونى ، ولكن لا يفرنك اسمه العذب ، فهو جرىء وما دفع به الى زمالتنا سوى اقدامه مرة على اغراق سفينة من أجل المبلغ الذي كان مؤمنا به عليهما . أما انا فأدعى ادريان مونتاج ، بدأت حياتي في السلك السياسى ، ثم القت بى الحرب الى فرقة الحرس ، لا تعبس يا صديقي ، بل دعنى اقدمك الى نفسك ، فقد كنت تدعى قبل مقدمك مستر مارتن ديل الامريكى ..

- ولكن ، متى تنتهى هذه المهزلة ، أين وادهام ، فاني جد مشوق اليه .

- وادهام ؟ .. انه يقطن شارع جرمن ، ولو كنت يقظا ، كما كنا نخشى ، لرات ان السيارة عرجت بك على شارع بيرى . لعل في هذا ما يدهشك .. كلا ؟ .. اذن فلانك لم تفهم الموقف بعد .. انك هنا دفين حتى . ميت حتى .

فصاح لوبين : حسبك .. اننا فى عصر المدنية والامن ، وفى لندن قلب العالم النابض .

فقال هونى فى سأم :

- اننا نضيع الوقت وأخشى أن يفوتنا الابحار مع المد .

حيرة البعثة . والى اسر يخضع فيه لارادة الغير .
وانقضى الليل .. وتلاه نهار طويل محل بطيء في انصرامه
.. حتى اذا كان المساء رسا اليخت على رصيف هادى منعزل
كانت تنتظر امامه سيارة . ما لبث ان انتقل اليها لوبين ..
فجلس بين كولينز ومونتاج .

وساله مونتاج : تعرفين اين انت الان ؟ ..

- اما في جنوب ويلز . او في سكوتلندا .. ولكننى احبذ
ان تكون في الاخيرة فان في الجو بعض البرودة .

- اصبحت .. لقد اجتزنا خليج تاي بين دندي وبيروت ..

وكان لوبين يعرف شمال انجلترا وكان اهم مظاهره ما
عرفه عن ان اسكتلندا بلد جبلي كثير المستنقعات ، قليل
السكان ، فما كان ثمة ضمير منها لاقامة بيت منعزل ياوى
اليه المختطفون دون ان يكشف امرهم احد ، وبعد ما قدره
لوبين بعشرين ميلا وقفت السيارة امام ابواب حديدية عالية
مغلقة ، تقدم منها رجل يحمل مصباحا كهربائيا صغيرا ،
ففتحها وحيا مونتاج وسرعان ما اجتازتها السيارة فاحتضنتها
اسوار ضخمة سميكه من الجرانيت .

وبعد ميل آخر ، وصلت الى سياج حاجز من الاسلاك لا يقل
ارتفاعه عن عشرة اقدام حبط السائق ففتحته بمفتاح خاص
وعاد الى السيارة يسوقها خلاله ، ثم حبط يغلقه ، وبعد نصف
ميل قطعت السيارة على اعشاب وحشائش خضراء رأى لوبين
لالاء ماء خلال الظلام ، ترائى خلفه بناء عظيم ذو برج عال
فقال مونتاج وهو يتنهد بارتياح :

- ها هو ذا البيت الذى سيغدو موطننا لك ، وانه لجدير
بان تزهر به .

فقاطعه لوبين قائلا : ومتى ترى الرئيس ؟

- عندما يرسل فى استدعائك ، ربما الليلة ، وربما بعد
شهر ، رالى ان يفعل سنتظلم فى معزل عن اهل عالمك الجديد .
- وما هذه المياه .. أهو نهر ؟ ..

- انه المجرى الوحيد الذى لم تجف مياحه فى كاليدونيا .
ورأى لوبين ان المجرى يبلغ الخمسين قدما انساعا ، ويقوم
فوقه جسر من الحديد الخفيف وان مستوى المياه يبدأ عند
سنة اقدام تحت سطح الارض ، ويحيط به جدار من الجرانيت
الاملس يبلغ سمكه اقدمين ، وعاد مونتاج يقول :

- اننا سنعتبر فوق جسر متحرك يهبط عند اللزوم ويرفع
بعد ذلك ، اما هذا الجسر فتراه لا يصل الا الى قاع سدة فى
منتصف المجرى .

وضغط السائق على بوق السيارة فهبط جسر عبره الرجال
الثلاثة الى باب الفناء الضخم فضغط مونتاج على زر فاذا بشطر
من الباب يفتح ويبدى خلفه احد الحراس ، ما ان رأى
وكيل الرئيس حتى انحنى له فى خضوع . وتقدموا الى باب
آخر قام عند فتحة فى سياج صخرى بلغ العشرة اقدام ارتفاعا
والخمس عشرة عرضا . واذا فتح هذا الباب ، انسابت الى اذنى
لوبين انغام الموسيقى ، فقال مونتاج :

- ان لدينا جهاز راديو فخما . يحمل الى ضيوفنا اذاعات
المحطات البريطانية والاوربية والامريكية . وبهذه المناسبة ،
لن يسمح لك بلقاء زملائك فى الامسيات الا اذا ارتديت
ملابس السهرة ، فهذه اوامر الرئيس . وستقدمها لك من لدنا
وارتداؤها امر اجبارى ، فلا يحسن بك الخروج على النظام
او التمرد .. والآن ، عم مساء وسببحك الدكتور كواينز
الى حجرتك .

وصحبه الطبيب خلال ردهات وعبر ابواب كانت تفتح
بطريقة اوتوماتيكية ، حتى وصلا الى العجوة ، فشاء لوبين ان

يتلطف اليه ، واذا عما يندمجان في حديث طويل عن الرياضة والملاكمة والمصارعة ، وتطرق لوبين في لباقة الى سؤاله :

- أحقا ان مونتاج وكيل الرئيس ؟

- أجل ، وانه لجدير بمنصبه ، فهو حفيد دوق ، وخريج ايتون واكسفورد ..

- أري ليس للرئيس اسم يعرف به ؟

- اننا ندعوه عند الضرورة بكابتن اكس ، أي المجهول كما تعرف .

- انه ولا ريب رجل فذ .

- انه أقدر رجل قابلته ويلوح انه مسلح من الوجهة الثقافية بكل ما يحتاج من أسلحة .. فضلا عن انه يتحدث بمعظم اللغات .. ولست أدري اسمه او مركزه خارج هذا المكان ولكنني سمعت مونتاج يقول مرة ان اكس وستانتون . وهو احد ضيوفنا . وفتاة اخرى .. هم فقط الذين يعادلونه في مكانته الاجتماعية .. ولذا فأربعتهم يكتون الطبقة الارستقراطية هنا ..

- ولكنني لا أظنك تجد هنا كثيرا من العمليات التي تلذ لك كجراح ؟

لقد انقضى أمد على آخر عملية أجريتها .. كانت لمونتاج اذ أصابه الجنرال ستانتون - الذي لن تلبث أن تحبه - بضربة فظيعة ..

- ولماذا ؟ ..

- لانه ضايق الفتاة التي قلت لك انها من طبقة راقية .. انها فتاة جميلة .. ليست متعجرفة كبنيات اللوردات .

- اذن فهي ابنة لورد ؟

- أجل .. لورد برو كنهيرست .. لقد قيل انها ماتت .. ولكنها هنا .. وأن كان الوجود هنا نوعا من الموت .. ولقد تدله مونتاج في حبها .

- ومن هو الجنرال ستانتون ؟

فابتسم الطبيب وقال في لهجة ودية وقد أحس بميل نحو الضيف الجديد :

- رجل قوى .. مهيب .. رياضي من الدرجة الاولى ..

ولكنك ستراه بنفسك .. ودعني اذكرك كما ذكرته هو

والكومندوز لادلو الذي أتدرب معه في الملاكمة كل صباح ..

بانني قد أبدو في حالة ودية كما لو كنا زملاء في ناد واحد .

ولكنني رغم ذلك احد رجال العصابة .. ومن واجبي ان أبلغ

الرئاسة عن كل خروج على القانون .. فانني أخشى غضب

الكابتن اكس ..

- حسنا .. وكيف وفد ستانتون على الدار ؟

- هذا ما لا أستطيع الافضاء اليك به ..

واقبل مونتاج في تلك اللحظة فبادره الطبيب قائلا :

- ان مستر ديل يتوق للقاء الرئيس .. وقد اخفقت في

اقناعه انه لم يعد ذا أهمية او مركز هنا ..

وتحول الطبيب خارجا .. فقال مونتاج :

دعني ابشرك بأن الرئيس سمح لك بالمشول بين يديه غدا .

واذا خلا لوبين الى نفسه ، مضى يستعرض كل ما سمعه من

احاديث ، ثم تحول يفكر في كل ما قد يمكن من محاولات

للخروج من السجن الرهيب .

وبقى في وحدته حتى مساء اليوم التالي ، اذ نفذ مونتاج

الى الحجرة وفي اثره خادم ضخم الجسم ، غليظ الشفتين ،

يرتسم الشر على محياه ..

وقال مونتاج : هاك نيوتن الحاجب الذي سيقودك الى حيث

تلقى الكابتن اكس . خلال ردهات لا حصر لها وأبواب

وحجرات ، قد تشجعك لخلوها على الاعتداء عليه . ولكن حذار

.. لقد حارل غيرك مفاجأة نيوتن فوجدوا فيا خصما لا يرحم

.. انه من الرجال الشرسدين الخطرين .. كذلك لا تفكر في ان ترشوه . لا لانه أمين . ولكن لان هناك عن العوائل الغريبة ما يضطره مرغما الى الاخلاص .. ففي خارج هذا المكان رجال يبتغونه ليقتضوا منه لقاء جريمة اغتيال ارتكيبها . ولذا فهو حريص على البقاء هنا ..

وتبع لوبين الرجل الضخم وهو يفكر في هذا الرئيس الذي سيلفاه . ويسائل نفسه : ترى كيف سيكون ؟ وأي نوع من الرجال هو ؟ ..

وقال له نيوتن اذ بلغا بابا حديديا فتحه بمفتاح يحمله ثم تنحى : ادخل . فاجلس على المقعد الذي تجده تحت المصباح الكهربائي في منتصف الحجرة . ولا تتحرك حتى يؤذن لك . ووجد ارسين لوبين نفسه في حجرة رجبية كبيرة . لا يضيئها سوى مصباح صغير تدلى من منتصف سقفها . فترك حول وسطها ظلال جدرانها كاشباح قاتمة تبعث الرهبة .. ولكن في غير قلب لوبين . وانقضى نصف ساعة توترت خلاله أعصابه لفرط ترقبه . ثم رأى في العتمة بصيص سسيجارة يقترب . حتى اذا جذب منها حاملها نفسا رأى لوبين على ضوء توهجها وجها شديد الشحوب . اقترب صاحبه في خطوات غير مسموعة . ثم مضى يدور حول المقعد . ولوبين يبذل جهدا جبارا حتى لا يحول رأسه ليتبع البصيص . واخيرا حل ارسين لوبين هذه الحيلة فقال : هذا فظيع ..

فأجابه الكابتن اكس في صوت ذي رنة موسيقية . ينم عن ثقافة صاحبه . وعن شعوره بأنه يكلم شخصا أدنى منه مكانة :

- هذا هو المقصود من الفكرة . فلقد وجدت يا مستر مارتن ديل ان لا شيء يرجع بنفس الرجل الى احساسيس الطفولة اكثر من العتمة والحركات الغريبة ، انها تبعث الخوف .

فصاح لوبين في حدة : بل اننى غاضب لا خائف ، اورد ان اعرف لماذا انا هنا ؟ ومن ارسلني ؟

- مثل مونتاج عن هذا فانا نادرا ما اعبأ بالتفاصيل . لقد استدعيتك كما استدعى كل قادم جديد .. لكى اؤكد لك ما ستعتبره قسوة عنى .. ليس من سبيل الى النجاة من هنا يا مستر ديل . لقد حاول الكثيرون ممن لا يقلون عنك في شيء فأخفقوا .. وسوف تحاول وتحقق .. ولقد يخطر لك ان تعبر المجرى سباحة .. ولكن هذا المجرى هو اخطر مكان في العالم .. تعال ..

وسار نحو الباب فتبعه لوبين وهو يتأمله فيراه في مثل حسه .. ولكن انطلام كان يحول بينه وبين ملائحته .. ووجد نيوتن يقف خارج الباب فقال له الكابتن اكس : خذني الى النافذة يا نيوتن ..

فتبع لوبين الخادم خلال ردهات غير تلك التي قدم خلالها حتى وصلا الى نافذة صغيرة .. وقال نيوتن وهو يفتحها :

- كن حذرا يا سيدى .. انها تطل على المجرى .. وفكر لوبين .. لكمة واحدة خلف اذني نيوتن .. ثم قفزت الى المجرى .. ينسبح بعدها الى الخرية ، ولكن هاجسا خفيا ارحى اليه ان ثمة خطرا يكمن في طيات هذه المحاولة .. وفطن الى ما حوله فاذا نيوتن قد اختفى .. واذا بكابتن اكس يقف بجواره وهو يقول :

- ها هي ذى فرصة تفلت منك ، ولكنك لا يجب ان تندم ، فما كان بوسعك ان تتغلب على نيوتن الجبار ، كما انك لو تأملت في أعماق المجرى لرأيت ان ثمة تمساحا ضخما ينتظر فريسة تسوقها له حماقة امثالك من الضيوف المتسردين . لقد سبق ان اقدم على التجربة زميل لك فراح للتمساح طعاما ..

ولا شك ان ذكاءك كفيلا بان يرشدك الى اننا نعني بهيمنة
التمساح ونوفر له الجو الصالح والمياه المناسبة بالطرق العلمية
الحديثة . ولكن ، حسبك فقد ازعجت التمساح .

وكبح لوبين غضبه في جهد وهو يسمع صوت زعانف قويا
تضرب صفحة الماء في عنف دله على مدى قسوة التمساح
وضخامته ، ثم لم يلبث ان رأى الوحش المائى الهائل يطفئ
على سطح الماء .
واحس لوبين انه في هذه المرة قد اخطأ تقدير ذكاء خصمه
ودهائه واستعداده . .

وسأله : وماذا يقول جيرائك عن الحاجز المقام من الاسلاك
- لا شيء ، فقد اقامته الحكومة عندما كان هذا المكان معتقلا
للاسرى من ضباط العدو ، ولكن اذا طاب لك يوما ان تتسلى
هذه الاسلاك ، فلا تنس ان لدينا مساقط مياه تمدنا بالكهرباء
- اتعنى ان تيارا كهربائيا يجرى فى الاسلاك ؟
- ولكن بطريقة لا تخطر لك ببال ، فلدى هنا خبير كهربائى

يحتج عن العالم ، لان ثلثى وجهه قد فقد اثناء الحرب ،
وبالمناسبة ، هذا الخبير يدعى شراينل ، وهكذا تجد التمساح
والاسلاك الكهربائية والاعشاب التى تتخللها المستنقعات والكلاب
البوليسية ، كل هذه يجب ان تحسب حسابها فى مغامرتك ،
ان الموت الذى يكمن وراء هذه الاخطار قد سلبنى كثيرا من
الضيوف ذوى المكانة الرفيعة ، والواقع يا مستر ديل ان
هؤلاء الضيوف كأولادى تماما ، فليس ثمة ما يدعوهم الى
الفرار ، انتى احب اسعادهم وقد اكون قاسيا معهم احيانا ،
ولكنى لست كذلك دائما .

واستطرد يقول : ستجد هنا كل ما يساعدك على
التسلية . . موسيقى ، جولف ، تنس ، بليارد ، بريدج ،
مكتبه فخمة ، صيد اسماك ، رفاق طيبون . . ألا فكر يا عزيزى

فى نعمة الهدوء التى نوفرها لك . . ومع ذلك ، ورغم ان كل
خادم هنا لا يتوانى عن التضحية بنفسه فى سبيلى ، فليس
ثمة ما يحول بينك وبين محاولة الهرب ، وكل ما ارجوه هو
. . ان تكون مبتكرا فى طريقتك .

واحس لوبين بضيق من لهجة الرجل . . اللهجة المفعمة
بالثقة والاعتداد والتغالى والسخرية والهزاء . . كان رجلا
عجيبا ، قوى الاعصاب . . قوى الذهن . . قوى التدبير حتى
خيل للوبين انه اخيرا قد هزم .

وعاد اكس يقول ولكن فى لهجة تتبدى خلالها الامر : آسف
لانك لن ترانى كثيرا ، فان عيني تؤلمانى . ولكن مونتساج
سيوافينى بتقاريره عنك . واذكرك باننى اصر على مراعاة
التقاليد الاجتماعية « والبروتوكول » . ان لى هنا ان املى
رغباتى وارادتى يا مستر ديل . فلا تظلم نفسك بالتمرد
عليها .

وصاح ينادى نيوتن ليقول له : قل لمستر مونتساج اننى
راض عن نتيجة حديثى مع مستر ديل ولذا ففى وسعه تقديمه
الى بقية الضيوف .

ومرة اخرى تبع لوبين الخادم خلال ردهات وحجرات عارية
. . حتى اعيد الى الحجرة التى انزل فيها ، ثم غادره نيوتن
مغلقا الباب بمزلاج من الخارج .

ويادره مونتساج فى لهجة جافة : اظن انك ستضطر الى المبيت
فى هذه الحجرة الليلية ايضا ، لان القسم الذى خصص لنزولك
لم يتم اعداده بعد . . ومنذ الغد يمكن ان تندمج فى زامسرة
ضيوفنا .

ولم ينم لوبين ليلته ، فقد كان نهبا للافكار ، وكان فى
شوق الى الغد وما قد يتكشف عنه .

الفصل الثامن

في الساعة السادسة والنصف من المساء التالي ، أقبيل نيوتن الى الحجرة يحمل بذلة جديدة للسهرة وقميصا ابيض . ولم يك ثمة بد للوبين من ارتداء هذه الملابس ، والا حرم من الاختلاط بأسرى العصابة ، ومن الاتصال بمسز ارجيللو وليدى جوان . وما أن فرغ من الاستعداد لهذا العشاء الذى لم يترقب فى حياته سواه فى لهفة وشوق وفضول ، حتى تبع نيوتن . وكانت الساعة تقارب السابعة والنصف . وقاده فخمة انيقة ، حتى اشرفا على صالة كبيرة بنيت على الطسواز القوطى ومدت فى اقصى مؤخرتها موائد عديدة صغيرة ، جلس اليها الضيوف فى ملابس السهرة ، ينتظرون وصول الزميل الجديد . ورجاه نيوتن اذا وصلا الى المدخل ان يتسويت برهة ، ريثما يعود وفى صحبته مونتاج الذى تراءى بشوشا رقيقا ، وتقده مونتاج الى المدخل ، ثم صاح :

- سيداتى ، ساداتى . اقدم لكم مستر مارتن ديل من نيويورك .

واستقرت كل عين على لوبين ، وكانما كان يداخل كل شخص الامل فى أن يكون من معارفه ، حتى اذا استمعوا فضولهم ، ويتسوا من أن يكون من معارفهم السابقين خالجهم شعور جديد من الرضا والقناعة اذ رأوا فيه على كل حالة رابطة تذكرهم بدياهم القديمة ، وأملا فى ان يكون مبعوث الاقصاد لتحطيم جدران سجنهم . وما عهدوا قط وافدا جديدا فى مثل رزاقته وثباته . . . اذ انحنى لهم فى بساطة وتقدم كما لو كان مقبلا على حفلة فى بيت اسرة صديقة .

وقال مونتاج : ساجلسك الى مائدة الجنرال ستانتون

ومستر برانر الذى قدم من امريكا مثلك . . . ألم تسمع عنه من قبل . . . لقد كان احد كبار رجال المال . والتقت لوبين حوله فى اهتمام وانتباه . يبحث عن المراتين اللتين دفع بنفسه الى فكى الاسد من اجلهما . فاذا بليدى جوان صغرى النساء الخمس الموجودات واجملهن وكانت تتحدث فى بساطة الى مسز ارجيللو ، وكانهما فى احد المطاعم او الفنادق فى احدى عواصم أوروبا . فقال الجنرال .

- انها فتاة رائعة الجمال . . . لقد كنت على معرفة بسيطة بابيها . . . اسمها ليدى جوان كرانلى . . . اما التى تحدثها لمسز ارجيللو من امريكا الجنوبية . . . كانت المسكينة وحيدة حتى قدمت ليدى جون فوجدت فيها زميلة تخاطبها بالاسبانية . . .

وبينما انهمك الجميع فى تناول الطعام وكانهم فقدوا كل العقل الحصى ، ومثل عصابة كابتن اكس الخبيثة الشديدة شعور بمرارة السجن ، كان لوبين يعجب من وجود مثل هذا الحرص ، فى بريطانيا التى اشتهرت بمهارة بوليسها وتوفيقه فى الضرب على ايدي اعداء القانون ، ورأى فى اطلاق الحرية للأسرى فى الحديث ، دليلا على اعتداد الكابتن اكس بخططه وثقته فى معداته وعدم خوفه من اى تأمر او تمرد ، وفضل ان يرضى ان مستر برانر يحدثه عن ليدى جوان ، ذاكرة ان مونتاج قد ذاب اخيرا على مضايقتها بمغازلاته ، وان لا امل فى ان يعارضه احد فلديه عن النفوذ ما يمكنه من جعل حياة معارضيه جحيما قطيعا . كما ان الكابتن اكس شغوف به . فلا سبيل الى شكواه اليه .

وتساءل لوبين : واين اكس ؟

فاجابه ستانتون : نادرا ما يتناول عشاءه معنا . فاذا ما

فعل . فانه يجلس الى المائدة القائمة على تلك المنصة البيضاوية
عن الضوء حتى لا يؤذى وجهه عينيه . و احيانا يقف على قاعة
الموسيقى . فهو يجيد العزف .

ولكن ، هيا بنا نتناول القهوة في قاعة الموسيقى . .
ونهض برائر . . فقال ستانتون للويين : تعال اقدمنا
لبقية زملاء . . قد يبدو هذا مهزلة في نظرك . . ولكنه عمل
يبعث السرور في نفوسهم . . فانت في نظرهم الحى الوجيه
وسط زمرة من الموتى . .

وقاده ستانتون صوب النساء الخمس ، فقدمه اولاً الى
مدام مارالدا ، وهى سيده وسيمية ، تفالت فى انتقاء الوان
ملابسها ، وفي التحلى بالمجوهرات ، ثم تحولت الى سيده
امريكية في منتصف العمر ، مصفيرة الجسم ، نحيلة . قدمها
اليه رفيقة باسم سارا ادامسون ، الصحفية التى شغلت
القارة منذ خمس سنوات في احدى صحف نيويورك على
المحتكرين من السياسة والتجار وكل صنف من الرجال .
وقالت سارا مبتسمة : تعال يا مستر ديل واجلس الى
جوارى لتحديثى عن امريكا .

ولكنه بادرها اذ ابتعدا عن ستانتون ومدام مارالدا
بالسؤال عن هذه الاخيرة ، فاجابته انها كانت من اشهر
مغنيات الاوبرا منذ زمن بعيد ، ثم ساقتها حماقة الحب الى
التعلق بشاب حدث السن اوصت له بكل ثروتها ، فلما ملها
الشباب ، حرص على استبقاء الثروة ، بان سعى بطريقة ما
الى الكابتن اكس ليزيح المسكينة عن طريقه . .

وولجا اذ ذاك قاعة الموسيقى . فرأى لويين ليدي جوان
جالسة الى المعزف تبنى في صوت ساحر . . وهمست سارا
ادامسون :

أنظر . . ان ادريان مونتاج يقف هناك . . ان مسوتها

يجديه ايضا كان . . مع انها تضيق به . . ولكن ما جسدوى
تسببها . . وما الفائدة لو اجتمع الكل واحتجوا على مطاردته
لها بغزله المقيت ؟ . . لا شيء . .

وسالها لويين ان تقدمه اليها . . كان مصاب ليدي جوان
اكثر من مصاب اى شخص غيرها . . لقد فقد الآخرون
حريتهم . . اما هى ، فالى جانب هذا ، رزئت بسماجة
مونتاج . . وكانت قد بستت من محاولات ستانتون ولادلو
في سبيل تحطيم هذا المعقل البغيض ، ولكنها تطلعت الى وجه
لويين الباسم ، في امل ، فرأت فيه العزيمة والقوة اللتين
اوحتا اليها انه ربما استطاع ما عجز غيره عن ادراكه . .

وقدمته ليدي جوان الى مسز ارجيللو ، التى اشرق
وجهها حين علمت انه يجيد لغتها الاسبانية بعض الشيء . .
واقبل في تلك الاثناء الدكتور كولينز ، فحيا لويين في ود
ثم لم يلبث ان دعاه ليلعب معه البليارد بعض الوقت ، حتى
اذا انتصف الليل ، اقتيد ارسين لويين الى حجرة الحق بها
حمام ، من تلك الحجر التى كانت الحكومة تخصصها للاسرى
من ضباط الاعداء ، ذات باب من الصلب القوى ، يفلق من
الخارج ، وتذكر لويين همسة ودعه بها ستانتون وهو منصرف
الى مخدعه قائلاً :

- حتى اذا كان للمرء من الحنق والمهارة في فتح الاقفال ،
فانه لن ينجو من خنجر الحراس الذين يتساوبون السهر فى
الردهات حتى الصباح . .

اذن ، فليس في وسع لويين الخبير بفتح اقوى الاقفال ،
ان يستعين بمهارته هذه في الحصن اللعين . ! وراح من
حديث يستعرض كل سبل النجاة التى فكر فيها في ليلته
الماضية . ثم تطرق الى استعراض ما كونه لنفسه من آراء
من افراء العصابة .

ورغم انه لم ينم الا غراوا ، الا انه كان قد فرغ من ملابسه قبل ان يدق الجرس الكهربائي ايدانا باليقظة وتفتح الابواب ، في الصباح التالي .

ووجد لوبين اثناء النهار ان في وسعه الخروج الى الساحة الخارجية للحصن ، والاقتراب من مجرى الماء دون ان يمانع . ولكنه كان رغم ذلك شاعرا بان ثمة عيوننا تتربص اينما ذهب من حيث لا يدري . وراح يرقب المياه الرافدة والهزات التي يحدثها تنقلب التمساح الفظيخ الرافد اصماقها ..

واهتدى ارسين لوبين الى مقعد تحت احدى الشجران يستطيع الجالس عليه ان يشاهد الحصن عن كثب في وضوء فاقبل بتأمله في بقطة ، ويتمعن البرج الذي كان يرتفع حوالى السبعين قدما فوق مستوى البناء الذي يقوم فوق سطح الارض الى سبعين قدما اخرى . وخيل اليه ان مظهر الحصن يبد كتيبا عبوسا لا تكاد تتخلل جدرانه نافذة واحدة تطل على الخارج ، اللهم الا تلك التي ازاه اكس منها التمساح ليله مقدمه .. فقد جعلت كل النوافذ من الداخل بحجب تطل على الحوش الداخلى ..

وتبين ارسين لوبين في بناء البرج طاقات صغيرة بعضها فوق بعض ، حدس انها فتحت لترسل الضوء الذي ينير السلم الصاعد الى قمة البرج ..

ومن طرف من الساحة العشوشية المعقدة امام الحصن صب الهواء محملا برائحة دلت لوبين على ان ثمة مزرعة لتربية الخنازير والواشي في تلك الناحية ..

وعاد الى الداخل مارا في طريقه بلبدي جوان تحدث الى مسز ارجيللو ، ببفتيه اللتين قدم من اجلهما .. ولكنه

بان حياهما بهزة من رأسه وانطلق ليفحص الحوش الداخلى .. وكان أبرز ملاحظته ان ثمة رجلا لا عمل لهم مراقبة المعتقلين وترصد حركاتهم .. وود لو استطاع بحرب الرشوة معهم ، ولكن ، انى له النقود التي يقدمها (يمكن يحمل فى جيبه حين قدم سوى بضعة جنيهات قليلة ..

ورأى مدام ماراندا تدخن سيجارة وهي تتحدث الى رجل لم يره من قبل .. فصاحت اذ لمحتة :
- تعال .. انه ليسرني ان اقدم رجلا قويا الى آخر يمانله .. كومنذور لادلو افسدم اليك مستر مارتن ديل ، من نيويورك ..

تصافح الرجلان .. واحس لوبين لأول وهلة بميل نحو رجل القوى الطويل القامة العريض المنكبين ، الذي يمثل في مظهره رجال البحرية الذين تنجيبهم انجاسرا لاسطواها العظيم ..

وساله لوبين : ترى كيف قابلك كابتن اكس بعد كشف محاولتك الفرار ؟ ..

- لقد هناني وشكرني اذ تبهته الى طريقة الفرار لم تظروا على ياله .. طريقة القفز على الزانة .. ومن لم وضع اسفل الحاجز السلكى مئات الصخور القاسية ذات الأطراف الحادة ، حتى اذا وقع فوقها الهارب ، اصيب بما يقعهده عن المضي في فراره ..

ودهنس لوبين اذ علم في سياق الحديث ان الكابتن اكس عادة التجول في الليل في الحصن وساحاته . فقال لادلو :
- ربما كان يتفقد مراكز الحراسة ويتأكد من بقطة الغائبين .. فان آنقه اصمال كليل ان يورده موارد الدمار ..

الفصل التاسع

أني الأسبوعان اللذان اعتقبا هذا .. بمعلومات كبيرة
 الأصميه لارسين لوبين .. لا سيما عن الخدم والاعوان الذين
 يتخذهم كابتن اكس عضدا .. ففضلا عن تقدم ذكرهم
 كان هناك الطاهي الفرنسي بيير الذي ما كان يبدو لاحد
 المعتقلين لانزواء الطهي في ركن قاص منفزل من الحصن
 كما كان هناك المهندس الكهربائي الذي كان محرما على
 شخص ان يعتكر عليه وحدته في المعمل الذي اتخذته التجارب
 بل لقد كان الكل يتهامون فيما بينهم ان الموت صعقا بالتيار
 الكهربائي ، نصيب كل من يحاول ولوج المعمل ..
 هكذا راح ارسين لوبين يحصي عدد الرجال الموجودين
 خارج حجرات وردحات الحصن ، فلاح له ان هناك اثنين
 في المعمل الكهربائي وسائقا للسيارة وحارسا لحظيرة الخيل
 واربعة للعناية بالحديقة . وشخصا يدعى دافيدسن الاشراف
 على الكلاب البوليسية . وكان هذا الأخير يعيش في عدد
 من الابنية الصغيرة ضمت حظائر الكلاب داخل السياج
 المقام من الأسلاك .. وكانت ثمة فتحة خلال السياج ينفذ
 منها الكلاب الى القضاء المترامي خلفه اذا ما جن الليل .. ثم
 كان هناك حارس وبضعة اشخاص اقامهم اكس في الارض
 المعشوشية التي تمتد خلف السياج السلكي في طريق من
 تحدته نفسه بالفرار .. ومن ثم كانت اية محاولة كتلك التي
 اقدم عليها لادلو ، مقدرها لها الفشل ، بينما كانت كل خطة
 تشبه ما ابتكره ستانتون ، اقرب الى النجاح ..
 ورغم ان برانر كان دُم الحديث الى لوبين . الا انه كان
 يكتم في نفسه استياء منه اذ حاول كثيرا ان يحمله على ان
 يتبارى معه في الجوائز . فكان يتهرب . وعجب في نفسه .

كيف يأتي اللعب وهو الذي زعم له انه قد فاز في عدة
 مباريات كبرى .. ؟ وكيف يرفض ان يلاكم الدكتور كوليتور
 مع انه ادعى انه قد تدرب على الملاكمة طويلا . ؟ وكيف يقنع
 عشاقه بمباريات التنس دون ان يشترك فيها رغم انه ذكر
 انه قد نال عدة جوائز في التنس .. ؟ ومن ثم ، قرر برانر في
 نفسه ان هذا المستر ذيل ولا شك رجل غريب .. !
 كذلك كان ستانتون ولادلو مستاءين منه . لقد املنا في
 هذا القادم الجديد من دنيا الاحياء ان يتمرد وان يحاول
 تحطيم جدران سجنه ليعود الى عالمه ثانية . ولكنهما ما
 لبنا ان راياه يطرح عنه المرح والهدوء اللذين حاول الظهور
 بهما في اول الامر . ويستسلم الى وجوم وتفكير خيل اليهما
 انهما من مظاهر ياس داخل نفسه ..

وعجبا اذ راحا يريانه يجلس طيلة النهار يحديق في الحصن
 او فيما يحوطه من فضاء . لا يحير حراكا . كالمشدود او
 المعتوه .. او الابله .. ولقد حدث ان اعاره لادلو منظسارا
 مقربا . فاذا هو يفر به بعيدا عن الاخرين .. واهم يدر في خلد
 احد ان هذا المنظر قد اعان لوبين الى حد كبير . وبينما كان
 برانر وستانتون يظنان ان المسكين فريسة حزن طاغ مرير
 لان صديقه وزوجته خاناه وارسله الى هذا السجن الرهيب
 كان هو خلال المنظر يتأمل الحصن وجدران الخارجية .
 ويفحص الارض المحيطة به . والمرتفعات القائمة حوله ..
 والدروب والطرق الموصلة اليه ..

وهكذا خيل للجميع ان لوبين قد اخلد الى الهوم ، حتى
 كانت ذات ليلة ، وقد جلسوا الى موائد العشاء ، واتخذ
 لوبين مجلسه المعتاد وظهره نحو مدخل القاعة فكان الجميع
 واجمين .. اذ قرر اكس ان يتناول العشاء مع رعيته في
 ذلك المساء ..

وقبل ان يبدأ الطعام .. اقبل على القاعة مونتاج بصرف
ضييفا جديدا ، شابا ، نحيل الجسم .. وتامله الكل
عدا لوبين الذي كان ظهره للباب ، في فضول .. واربع
آذانهم ليسمعوا اسمه . ولكن مونتاج على العكس لم يقد
اليهم . بل سار به نحو مائدة في طرف القاعة واكتنهما ما
يمران بمائدة لوبين ، فيرى هذا الضيف الغريب ، حتى يوم
الموجودون بصيحة غاضبة ، ثم راوا لوبين يقفز على الضيف
وهو يزار وقد اتسعت حدقتاه كالمجنون .. وفي اللحظة
التالية .. كان نيوتن قد رفعه عن الضيف الذي طرحه لوبين
ارضا .. وكان جزاؤه ان افتيد الى سجن منفرد بين
تريث اكس ريثما جلس مونتاج والضيف الى مائدتهم
وخف الهرج الذي خلفه الحادث .. ثم نهض وقال :

« سيداتي .. سادتي ، اننى اعتذر لكم عن الحادث
واقدم اليكم عضوا مؤقتا في مجتمعنا هذا .. مستر
ويلد .. من نيويورك .. »
ولم يسترع الاسم اهتمام احد سوى برانر الذي تف
يصافح الشاب ذاكرة انه كان من اصدقاء عمه .. ثم لم
يقول :

« انك لم تصب بسوء من هذا الحادث .. الحمد لله
لقد كنت مؤقتا منذ قدم هذا الرجل انه صائر الى الجنون
فساله ويلد وقد بدا عليه الاهتمام :

« اذن .. فكأنه كان يتقدم تدريجيا من هذه النهاية .
« اجل . لقد بدا بان زعم انه ماهر في لعب الجولف .
ابن مع ذلك ان يباريني .. »

وبينما كان الجميع منكبين على طعامهم .. مضى
يفكر فيما بعث لوبين على مهاجمته هكذا . ايكون قد اس
لانه قدم قبل ان تنضج خطة لوبين . وبذلك افسد

ثم يغادروه الى العالم الخارجي .. واذن فهو من اعدائ
مونتاج .. وهو من المنغمسين في الجرائم . وتنهدت في
حسرة وآسى .. كانت شابة .. ووحيدة تحوطها الوحشة
.. وهامى ذى ترى ان الرجل الوحيد الذى استشار
اهتمامها شريك لمونتاج فى جرائمه .

وما كان وبلد بالهائى المتبسط . فلقد وعد ان يقابل
اكس . . ولا سيما لأنه لم يك ممن يأتون للاقامة الدائمة
بل كل ذنبه ان هونى ريان اليخت اسرف فى التحدث اليها
وهو ثمل .. فرأى مونتاج ان لا بد من عرض أمره على
الرئيس .. ومن ثم اعتقل مؤقتا ..

وقدمه ستانتون الى ليدى جوان حين انتقل القوم الى
قاعة الموسيقى ، فسألها ان تسمح له ان يراقصها ، وكر
طاب لها ان يراقصها ، وكم طاب لها ان تجده راقصا
ماهرا .. حتى اذا انتهى ، سألها وهو خافق القلب ان
ان يجلسا للحديث ، اذ انه يشعر باستياء يجعله زاهدا فى
الرقص .

فقالت له : ما كان لصديقك مونتاج ان يهملك ويتركك
للاستياء !

فصاح وقد تجلت الكراهية لحظة فى عينيه : صديقى لا
انه سبب وجودى هنا .

- ليس لهذا من معنى سوى انك كالريان هونى ، تعمل
لحساب الكابتن اكس ولكنك لاتردد على الحصن الا فيما
ندر .. لقد قدمت من نيويورك ، ولا ريب ان مستر ديل
المسكين عرفك .. احقا هذا ؟

ووجد نفسه فى موقف فى موقف يتمزق لهوله قلبه . فما
كان فى وسعه ان يخبرها ان لويين صديق له فيفشي سره ،
وما كان فى مكنته ان يزعم انه عدو له فيفقد كل أمل فى

صدقاتها ، ولكنه اسرع يحول مجرى الحديث ، ذاكرا ان
ستانتون وبرائر قد اكدا له جنون ال (ديل) ، فقالت :
- يا له من مسكين ! . ان الحياة هنا امر فظيع ، ان
يبنى تفتح فيها على مآسى ما كانت لتخطر الى على بال .
فمثلا مستر ديل . كما قيل لى .. ضحية خيانة اقدمت
عليها الزوجة التى كان يوليها كل حبه . ورجل كان يؤثره
بصداقته .. يا للندالة ..

واسرع وبلد يتعد بها عن هذا الموضوع قائلا : لقد
ابنت هنا بطريقة حمقاء . لم يرسلنى احد . وانما تقدمت
بنفسى الى الشرك .. اجل ، لقد خدعت فسرت الى الشرك الذى
نصبوه لى ..

وبينما كان الشابان سارحين فى مراتع الهناءة ، اقبل
نيوتن فوقف عند كتف وبلد وقال : ان الكابتن اكس يبغى
مقابلتك الآن .

فاجابه وبلد فى ضيق : بعد ان انتهى من هذه
الرقصة .

فصاح نيوتن فى لهجة امرة : اتانى ، ام تضطرنى الى
سوفك قسرا ؟

وهمست جوان فى خوف : يجب ان تذهب ، فانت
لا تدري بعد حقيقة الامور هنا .
وشبعته بنظرات قلقة ، فتقدم مونتاج وقال وهو ينظر
اليها مقظبا :

- يبدو انك تسرفين فى الاهتمام بضيفنا المؤقت ؟
- انه يرقص فى مهارة . كما ان لكل جديد بهجة ..
- اذن فانت حمقاء يا حبيبتى .. انك لست للزائر
المؤقتين .. فتذكرى هذا ..
- ولم هو مؤقت ؟

- لان مصيره لم يقرر بعد .. انكم جميعا قد دفع عنكم اجر ونفقات بقائكم . اما مستر ويلد فلم يدفع عنه احد . وانما وجدناه بطريقة غير واضحة في اليخت . وكان هونى ثملا فظنه اباى . واندفع فى ذكر اشياء خطيرة .. وسأقتنى الصدف الى اليخت فى تلك الاثناء . فلم اجد فى وسمى سوى ان ارسل هونى الى عمله . وان استبقى ويلد لاحظه الى هنا .. وارجح انه سيرسله الى المظهى ليعمل هناك . اذ يكون بمعزل عن بقية الضيوف ..

- وكيف هذا ؟ .. انه سيد محترم ! ..

- ولكن نفقات اقامته لم تدفع ..

- فصاحت وقد تبينت ان الغيرة تدفع مونتاج الى اقتراح مثل هذا المصير :

- بالله ! ما اظنه راضحا لكم ..

فضحك قائلا : ليس لاحد ان يخرج عن طاعة الرئيس .. وتحول الى المكتبة . فوجد نيوتن واقفا بالباب .. وكان كل يعمت الآخر .. كان مونتاج يرى ان هذا الحاجب . الخادم . يستمرىء سلطنة اكثر مما له .. وكان نيوتن يكرهه لانه مقرب للرئيس . ولانه لذلك يفرض عليه نفوذه .

واذ دخل مونتاج . سمع اكس يقول لويلد : اننى اعطف على موقفك . ولكن ماذا افعل .. ؟ ان الآخرين قد دفعوا تكاليف اقامتهم . بينما حملت انت الى هنا لالك تسلمت الى اليخت واندمجت مع احد رجاله فى حديث تصدى ما كان يجب له من نطقى . هناك شيء اكثر من محض الصدفة ، ارسلك الى جريفسند ، لسوف تقضى الى بذلك وان كان هذا لا يمنع من أنك ستبقى هنا . وبحسن بك ان تذكر الحقيقة .

- لقد ذهبت الى جريفسند لارى بخنا اعان فى جريدة الشمس انه معروض للبيع . وليس من دليل اقوى من ان الصفحة التى نشر فيها الاعلان . فى جيب السترة التى كنت ارتديها حين قدمت الى اليخت فذهبت الى المرفأ لاسأل عن المكان الذى استطيع ان اتصل فيه بالمعان . فاذا بي اجد علبة سجائر فضية كنت قد اهديتها منذ زمن لدليل وها هى ذى . ولما كنت اعرف انكم قد تسلمتموه . ففسد ارتيت فى الأمر ، ومن ثم استأجرت قارباً الى اليخت لالتحق من صد المراكبى .

فسأله اكس : اى مراكبى ؟ ..

- رجل كان يتسكع عند المرفأ . ذكر لى انه رأى اليخت الراسى فى المرفأ ببخر فى مساء ١٢ يونيو . وعلى ظهره سيد هبط من سيارة يساعده اثنان حتى ليكادا بحملانه . مما جعله يظنه ثملا . فقابلت هونى . وفيما اتا اتحدث اليه . اقبل هذا الرجل الى اليخت .

ورمى مونتاج بنظرة عدائية . بينما سأله اكس :

- ولكن ، ما الذى دفعك يا سيدى العزيز ؟

- اردت ان استعيد دليل . لقد رحلت الى نيويورك لاقابل رجلكم المدعو سميت .. ولكنه كان قد خلف المسكن الذى يتخلده .. فعن لى عند هذه الفرصة ان اتصل برئيسة جماعتكى .. اجل ، اريد دليل ثانية .. فانه .. فانه .. بلوح لى انها ملتنى .. ومن ثم راحت تهددنى بأن تقضى لعمى بكل شيء .. اذا لم اعد زوجها اليها .. فقال مونتاج :

- ولكنها الان فقدتكما معا ..

بينما قال اكس : اننى آسف من اجلك .. ولكننى لا اجد مناصاً من استبقائك ريثما ايت فى امرك .. وما دام الأمر

كذلك .. فلا مانع لدى من ان تختلط بالأخسرين وان
تشاطرهم مرحهم .. ولكن .. بالمناسبة .. ادع نيسوتن
يا مونتاج ليصحبه الى النافذة المظلة على النهر ..
واذ تبع وولد نيوتن .. تحول اكس يسأل مونتاج عن
رايه في قصة الاسير ..

فاجابه : لقد تخلى عن العنف والتهيج . ولكن الصدمة
التي تلقاها اذ رأى الرجل الذي خانه ، كانت كقيلة بسلب
عقله .. اما الان .. فقد علمت انه عمد الى الصمت كما قال
برائر انه كان يراه منحدرًا الى هذا المصير تدريجيا ..
- لقد أمرت كولينز ان يفحصه ويرفع الى تقريره عنه ..
فهذه مشكلة جديدة .

وانصرف مونتاج عائدا الى قاعة الموسيقى ، حيث بحث
عن ليدي جوان ، وعاد يستأثر بصحبتها .

وقال لها في خبث : ان صديقك الجديد يشاهد مجرى
الماء الان ، ولعله يفكر في ان يغافل نيوتن ، ويقفز ليكون
عشاء شهيا للتمساح .. لا ترتجفي هكذا ! . لقد استطاع
مستر وولد ان يكتسب كل عطفك في سرعة عجيبة .

فصاحت محنقة : ولا لا ؟ .. الا ترى ان المرء يسره ان
يرحب بشخص يفد من دنياه الى هذا المكان اللعين ..

- ولعلك ستضعين زهورا على قبره كل يوم .
فقال والخوف يزحف الى عينيها : أتريد ان تبعث الذعر
الى قلبى .

- ولم الذعر ، في امكاني ان اعدك بما تظلمنين اليه ..
بأننى سوف أتزوجك .. ومن ثم ترين اننى لا أود بقاء
ولد ..

- سأقتل نفسي اذ ذاك ..

- في هذه الحالة ، اضع انا الزهور على قبرك كل يوم .
لا تكونى قاسية يا جوان ان الجريمة الوحيدة التي لن اقدم
عليها ، هي احضارى اياك هنا .. الا دعيني احبك بانك كلما
تلطفت الى غيرى ، فسيزيدنى هذا قسوة على هؤلاء الغير .
ثم ابتعد عنها .. وما لبث وولد ان اقبل ، فجلس الى
جوارها وعلى وجهه آثار التجربة التي مر بها . وقالت جوان :
اننى جد سعيدة لانك لم تقفز الى الماء .

فقال في رقة : احقا ؟ . وددت لو صدق هذا .
ولمحت مونتاج يرقبها من طرف القاعة . فحيث ابتسامتها
وقد ذكرت وعيده ونفوذه .
وما لبثت ان اعتذرت لويلد وابتعدت عنه .

في هذه الاثناء . كان كولينز يحرق الارم غيظا . فلقد
كره الامر الذي صدر اليه ليفحص لوبين ومقدم عن حاله
العقلية تقريرا للرئيس . وحاول ان يحتج بانه ليس اخصائيا
- الامراض العقلية .. ولكن الرئيس اصر على ان تنفذ
اوامره .. ونصحه ان يحاول استدراج وولد ليفضي اليه
بما يعرف عن صديقه السابق . لذلك ما لبث كولينز ان اقبل
على وولد في اليوم التالي وهو يتبارى مع جوان في التنس ..
فقطع عليهما مباراتهما وانحنى به جانبا .. وأخبره ان ديل
يرفض الأكل والنوم لانه يخشى في أحلامه اشباحا تواتيه
لتنقم منه .. كما انه قد غدا أسسيرا او هام خادعة ..
وخيالات غريبة مغالية .. ومن ثم جاء برجوه ان يفضي اليه
بما يعلمه عن ديل وعن تاريخ أسرته عسى ان يساعده ذلك
على علاجه ..

واطرق وولد برهة خيل لكولينز معها انه يجتر الذكريات
.. بينما كان هو يفكر في ان للوبين اسبابا قد دعت له ولا بد

الى ان تصنع الجنون .. ومن لم فمن واجبه ان يساعده
على ذلك . ولذا لم يلبث ان قال :

- لقد عرفته منذ امد طويل .. فوجدت فيه شيئا من
الشدوذ .. ولكن هذا لا يعنى انه كان مخبولا .. كان يرى
انه لا يجب ان يكون كغيره .. وكان مسلكه وغروره مبعث
تسلية لى ولمسز ديل . كما اننى لم اعرف شخصا يكتفى
بالقليل من النوم مثله . كان يقنع بساعتين او ثلاث على
الاكثر . وكان احيانا مزعم انه امبراطور عظيم .. ذو رعية
يسمى بعض افرادها لدس السم له .. ولذا كان لا يستخدم
طاهيا . كم تعدت مسز ديل المسكنة من اجله .. تصور
انه ظن مرة اننى استاجر اشخاصا ليظفوا عليه من نوافذ
داره ويخرجوا له السنتم ؟

- هذا ما كنت اود معرفته . ولعله كان يسمع اصواتنا
ويرى احلاما .

- اجل . ولكنه كان في بعض الاحيان يمكث شهرا وهو
في حال عادية . ولقد عرفت ان اباه قضى زمنا في احد
مصحات الارشاليات . كما كانت امه خبيرة تقوم بتجاربها في
الجلود المدبوغة . اما اخوته واخوانه فقد ماتوا في حدائهم .

وتأمل وبلد الطبيب وهو ينصرف . فارتسمت على
شفتيه ابتسامة مآكرة . ثم تحول الى جوان قائلا : هيا بنا
لتسلى باطعام التمساح .. اترتجفين ا .. انك واهمة .
لقد ملأت جيوبى بالسكوت من اجله .

فالتفت نظرة سريعة الى حيث كان مونتاج . ثم خرجت
في عجلة وويلد يتبعها حتى وصلا الى مقعد بعيد . واذ ذلك
قال وبلد وهو يفكر في مونتاج ومدى نفوذه :

- امة مأساة هذه التى تحتازينها ابنتها الصغيرة المسكنة .

واية مأساة لى انا ايضا اما فكرت مرة فيما كان يحدث لو اننا
لغابلقنا خارج هذا المكان يا جوان .

- لقد فكرت في ذلك مرارا .. عندما كنت في الخارج ،
كان الشبان يلتفون حولى ويسعون لخطب ودى فلا ابالى
بهم . ولا اجد بينهم من يستطيع ان يستشير اهتمامى . اما
الآن وفي سجنى فهانذا اعثر عليه .. اواه يا سوبز . اين
هى العدالة ؟

- لست يائسا يا عزيزتى .. ان هذا الحصن لا يد ان
بلك يوما . وان في نفسى هاجسا خفيا موحى الى ان هذا
اليوم جدا قريب .. واذ ذلك استطيع ان اقدمك لعمى
ولامى . ولسوف يحبانك ..

- لقد خالجنى هذا الامل في بادىء الامر .. هكذا الحال
مع كل قادم جديد .. ثم .. يخبو الامل ويستسلم المرء
لهذه الحياة ..

وود وبلد لو يحدثها عن يقينه فى لوبين .. اليقين الذى
بعث هذا الامل في نفسه . ولكنه لم يك فى حل من ان
يكشف عن حقيقة صديقه واغراضه لمخلوق ما . مهما كان
هذا المخلوق ..

وعادت تقول : حاول ان لا تجلب على نفسك نقمة مونتاج ..
ان الدكتور كولينز لطيف ودود . ولكن مونتاج هو صاحب
النفوذ .. ولقد يحدث احيانا ان لا ترى الكائن اكر
لاسابيع طويلة . فيكون الامر والسلطة لمونتاج .

- لست بطبيعتى ممن ينساقون مع الخيال يا عزيزتى ..
ولكنى اؤكد لك ان ثمة قوى تعمل من اجلنا .. دون ان
يحس بها هؤلاء الوحوش .

واومضت عيناه فجأة بوميض من الامل .. وشاعت في
وجهها الابتسامة ثالية .. وتضرجت وجنتاها وهى تهتف :
اراه ياسوبز لا . سأحاول ان اؤمن بما تؤمن به .

الفصل العاشر

ضغط الدكتور كولينز زر جرس عند باب البرج .. لم يك ليجرؤ على ضغطه سوى نيوتن ومونتاج - فإذا فترسح الباب الحديدى من تلقاء نفسه . اوتوماتيكيا . كان ذلك إشارة من الرئيس تتم عن موافقته على استقبال القادم .. فيصعد هذا سلما مهدم الدرجات .. ملتويا على نفسه التواء حلزونيا .. بين جدارين ضيقين .. حتى يصل الى حجرتين . لا تصلح الخارجية منهما للاقامة لما كان بها من تهدم . وعندهما يأتى القادم على باب حديدى آخر . فيضغط زرا ثانيا . فيفتح الباب من تلقاء نفسه ايضا . ويصعد القادم مائة درجة اخرى تفضى به الى المسكن الذى اتخذه الكابتن اكس لاقامته .. وهذا ما فعله الدكتور كولينز الذى لم يحظ بمثل هذه الزيارة خلال الخمس السنوات التى قضاها وسط العصابة ، سوى ثلاث مرات .. وكان هذا المسكن يتكون من حجرة داخلية واخرى خارجية تشمل حوالى نصف اتساع البرج . أى حوالى الستين قدما طولا والثلاثين عرضا . والعشرين ارتفاعا .. وقد اثبت باثاث من الطراز الانجليزى العتيق . وقام فى ركنها الاقصى معزف ضخم من الابنوس اللامع .

كان هذا البرج العتيق قد اصلح وادخلت عليه معدات حديثة لتقويته وتحصينه . وكان اكس يجلس فى الحجرة الامامية . حين قدم كولينز تحيظ بمقعده ازرار كهربائية يستعملها فى فتح بابى البرج دون أن يتحرك .. فاشار لكولينز الى مقعد وضع تحت الضوء حتى تبين ملامح وجهه .

وانطلق كولينز يفضي بتقريره ذاكر ان يرى ان خيل « ديل » - لوبين - من ذلك النوع الذى ينشأ عن المغلاة فى

الخيال والاهام . وفى تاريخ أسرته ما ينم عن ان هذا الخيل قد انتقل اليه بالوراثة لم سرد كولينز ما سمعه من حديث وولد ، وعقب عليه بأنه زار ديل فى سجنه الانفرادى فاذا هو هادى واجم خائر الأعصاب ، شاحب الوجه ، واذا هو يقدم للطبيب يده كى يقبلها ، وقد احاط اصابعه بالاطراف الذهبية للسجائر ، ولف رأسه بمنشفة ، ليبدو كما حلاله ان يبدو ، ملكا للحصن .. وكان كل ما رآه كولينز من علاج لله ان حمله على اذرداد جرعة من شراب مخدر ، اذ رأى ان كل ما يحتاجه لا يتعدى قسطا وافرا من النوم .

وسأله اكس اذ فرغ من تقريره : احقا ان ليدى جوان قد تعلقت بمذك الشاب وولد الى الحد الذى يدعوه الى قلبى مونتاج .. ان وولد ليس من ذوى الاقامة الدائمة بيننا ، كما ان مونتاج هو اقرب رجالنا الينا ، لذلك ارجو ان تبحث فى المكتبة عن تقاليد الزواج الاسكتلندى ، فائنى أظن انها تنص على ان الزواج يصح لمجرد الاعتراف المتبادل دون حاجة الى مراسم .

- ولكن الفتاة محتونة بولد ، وكذلك هو مواع بها ، ولو ان مونتاج تزوجها لادى الامر به الى ثورة تراق فيها الدماء . فصاح اكس فى حدة : لم أسالك رأيك ، ولن يحدث ما تزعم .. بل ولن يكون لو ولد ان يعترض رغبة أحد رجائنا ، وما يزال فى الحصن حجرات وردعات منعزلة بهجورة لا حصر لها على استعداد لاستقباله ، فنحن لا نشغل أكثر من خمس الحصن .. ثم ان مونتاج ينحدر من أسرة لا تقل عن أسرة ليدى جوان عراقية ومجدا .

فجرؤ كولينز على ان يقول : اوليست فى قلبك عاطفة إنسانية)

- لا .. ان العطف ليس كل شيء ، وليس الحب كل دعائم الزواج والحياة .

بل ان لدى من البراهين ما يدعوه .. انظروني
الارتباك الذي يعزو فارسك النبيل .. وهل كنت تنتظر
ان اطلق له العنان كي يسلمني اياك ، دون ان تكسور
الثقة في ان بوسعي ايقافه في الوقت المناسب ..
السبب الذي جاء من اجله مستر مارتين ديل هنا .
فاجابت وقد بدا القلق يساورها : لان زوجته احب
شخصا آخر ..

اجل ، احبت اقرب اصدقائه اليه .. الصديق الذي
دفع ثقتك حمله الي هنا .. وها هو ذا هذا الصديق .
وتبدى الياس على وجهه وبلد ، وتولاه الحرج ، فما كان
بوسعه ان يدافع عن نفسه خشية ان يفضح خطة اوبين ..
وكان من اقسي الآلام ذلك الالم الذي غشيه اذ احس بالشمك
يتسرب الي نفس جوان .. وآلمه ما تبدى في نظراتها من اسى
وحزن طاغ .. ولكنه كان مضطرا الي ان لا يعالج الحرج
الذي اصاب قلبها وان يدع الدماء تنزف منه ، وهو مكتوف
اليدين .. ونظرت اليه جوان لحظة ، ثم اكتسح القنوط كل
شيء .. وهتفت وهي تنادى الحجر : لقد تم كل شيء فبل
الدقائق الخمس التي حددتها . كان الدكتور كولينز صادقا ..
ليس شيء ان يدوم .

فقال مونتاچ : لا تبيس يا صديقي ، فلسوف اشفي هذا
الجرح ..

ولكن ويلد قفز عليه في غضب جنوني ، فلم ينقذه غير
مقدم ثنوتن ، الذي رفع الشاب عن مونتاچ ، ونظر الي الجرح
الذي قطع شفة هذا الأخير ، والى الكدمة التي احاطت بعينها
ثم هز رأسه اسفا لان ويلد لم يحسن تسديد لكماته ..
وفي تلك الاثناء ، كان النوم الطويل ، والراحة ، قد هذا
من اعصاب لوبين ، حتى ان الدكتور كولينز لم ير مانعا ، وقد

صنى ويلد من طريق اوبين اذ زج به في سجن انفرادي ..
ان يسمح لوبين بان يعود الي مخالطة بقية الضيوف ..
الجميع شاهدوا ان هذا قد غدا رجلا آخر .. اذ عاد
بهم وقد شحب وجهه وتغصن ، ووهنت قواه ، وكانما الايام
التي قضاها في معزلة قد اضافت الي عمره اعواما .

ولاحظ الكل انه قد فقد زواته وحكمته التديمتين ، فلم
مد يتورع عن ان يلتقط من الأرض الاشياء التافهة ، واعقاب
السجاير ، وقطع الورق الملونة ، وألما فارقه ذكأوه ، وعاد
نظله به الي مرحلة الطفولة . حتى مشيته تغيرت ، فتشاكلت
ويطأت ، وغدت خطواته ملتوية متعجرفة .. واصبح يجفل
من عرفهم من قبل ، ولا يطمئن لغير مسز بليك بجالسها
لساعات الطويلة دون ملل ينظر اليها بنظرة الطفلس الي
مربيته ويسألها من وقت لآخر عن سير الحياة في الحصن ،
او عن كابتن اكس ، اسئلة تبدو اليها بريئة ساذجة .. حتى
اذا حصل منها على ما يكفيه من معلومات كان يتوق اليها عند
علم من مس سارا ادامسون ان لمسز بليك ذاكرة قوية تحول
عنها ليقضي طيلة النهار متجولا وقد نابط كراسة للرسم
واخذ يملأها برسوم ركبكة ..

ولم يعد احد من رجال اكس يخشى شيسره .. حتى
الذين اعتقدوا انه اصبح في عداد الملائكة ما دام قيد
فقد رشده ، فلم يشاءون ان يزعموه .. ومن ثم أصبح
يقضي معظم اوقاته عند الجسر الحديدي ، يرقب مجرى
الماء والتمساح في سداجة المجالين ..

وحدث في ساعة مبكرة ذات صباح ، ان خرجت لبيدي
جوان تتجول بين الاشجار تنشد السلوة اثر الصدمة التي
اصابت هواها ، حين اقبلت عليه صدفة فاوشك الدعر ان
يتملكها ، لولا ان الاشفاق اكتسحه من نفسها ، فانحنت عليه

كما لو كان طفلا حدثا وسألته ان يريها رسومه .. وفيما هي تفعل ، همس لها : عودي الى الاشجار دون ان يرتكب احد في حركتك ..

ودهشت ، بل وتولاها الخوف ، ولكنها سارت الى جوارها وهي تتصنع الاستفراق في تأمل الرسوم حتى اذا اقبلا على مقعد صخري بعيد عن اعين الرقباء والمنظرين ، قال لها وقد انجابت عنه معالم الجنون : اننى لست مجنونا باليدى جوان ولكن حذار ان تصرحى لاحد ، ولو كان من اقرب الناس اليك ، بهذا السر . فما كنت لأجسر على مصارحتك ، لولا اننى لم احتمل الشقاء الذى يسيطر عليك ، فشئت ان احدثك بما اجلو هذا الشقاء ، على ان تحرصى حتى لا يسمو عليك اثر هذا الحديث ، ولو فى نظراتك او نبرات صوتك .. ان سوينز وبلد هو اعز اصدقائى ، وقد اضطر الى السكون ازاء ما اتهمه به مونتاج حتى لا يفضح امرى . لقد توصلت الى الاتصال بسوينز ليلة الامس ، خلال الفتحة التى اعادت للنهوية فى سقف حجرته .

فصاحت جوان : يالى من حمقاء . او تراه يصفح عن ارتيايى فيه ..

— ولم لا .. انه يرسل لك كل حبه ، ويطمئنك عن المعاملة التى يلقاها . اما الان فعليك ان تستمرى فى التظاهر بمظهر المحطمة القلب ، واحرصى الا تصدر منك حركة تفسد خططنا ..

— اواه بامستر ديل ، وهل ثمة امل فى الخلاص من هذا السجن ..

— اننى امل ان اوفق فى اطلاق سراحكم جميعا ، ليلة عيد الميلاد على الاكثر ..

وشعر الاثنان اذ ذاك باقتراب مونتاج . فظلت جوان

تصنع الاستفراق فى مشاهدة الرسوم . فاطل مونتاج الى الصفحات من فوق كتفها ثم قال :

— لا عجب . فالرجل مجنون . ولعله يقن نفسه فى مهارة مينسيل أنجيلو . لا تترنى له . بل اترنى لحالى انا اينها الحبيبة . وبهذه المناسبة . ابشرك بان زواجنا سيتم ليلة عيد رأس السنة ..

وانقضت ايام . ثم اقبلت على الحصن ليلة من ليالى شهر نوفمبر . دهمت فيها ليدي جوان للكبة التى اسنلت من قلبها كل امل بقى لها فى العودة الى العالم الخارجى ..

ففى اثناء النهار . ظل لوبين جالسا فوق الجسر يحدق فى مياه المجرى ويرقب التماسح كقطر صغير . حتى اذا حان وقت العشاء . ابى ان يرتدى ملابس السهرة وان يشاطر زملاءه عشاءهم . وهى عادة سمح له بها فى الايام الاخيرة . فان رجال اكس يضمنوا بقطر من الحسنة على مجنون مثله . فتركوه يضرب فى أنحاء ساحات الحصن وسمحوا له بان يتردد على المزرعة التى يقوم فيها دافيدسن بتربية المواشى والعناية بها . وكان بلد اللوبين ان يشاطر الرجل اعماله . فينظف الخنازير . ويقدم الطعام للكلاب البوليسية التى ما لبثت ان الفته . وما كان لدى دافيدسن ما يمنعه من تقبل مساعدة هذا المجنون ما دام فيها تخفيف لعبء العمل عن كاهله . وما دام لوبين يقدم له من اشجار اللذيذ الذى يمد به خدم الحصن . وان يحمل اليه قسما من الخمر الذى تقدم اليه كل يوم ..

وفى ذلك النهار ، قضى لوبين معظم وقته فى المزرعة . بينما استمتع دافيدسن بنوم عميق بعد الظهور .. ثم نفض الجو فجأة ، فهبطت درجة الحرارة ، واحس الضيوف — حين اقبلوا على موائد العشاء — ان ثمة زويدة وشبكة

الهبوب .. وتولاهم الوجوم الذي ينشأ عن مثل هذا الجو المكفهر ، وزاد من وطأته أن العوامل الجوية أدت إلى انقطاع الإذاعة اللاسلكية التي كانوا يستمعون إليها من لندن .. وأومض البرق يخترق الظلمة المسيطرة على البطاح .. وانبعث هزيم الرعد قاصفا .. وفجأة ، سمع الجميع صرخة مرتاعة تتردد في الخارج ، تلاها صمت رهيب دام دقيقة أو اثنين .. ثم صاح كابتن اكس ، وكان في تلك الليلة يتناول عشائه مع أسراه ..

- نيوتن .. ما عذا .. ؟

وضع جواب الحاجب في غمرة الصرخات التي انبعثت في جو الحجيرة تعبر عن الأسى الذي تسرب إلى نفوس الجميع .. وهرع نيوتن وكولينز ومونتاج إلى الخارج ، ثم تبعهم ستانتون ولادلو .. وكانت الصرخة قد انبعثت من ناحية الجسر ، حيث اعتاد لوين أن يجلس .. وغاب ضوء المصابيح التي وجهت إلى مجرى الماء ، تبدت معالم التنصتة الأليمة .. فقد طفت على صفحة الماء المضطرب قبعة لوين ، ثم شاهده الرجال ظل جسم تحت الماء ، راح التمساح الرهيب يصارعه حتى صرعه ، ثم سحبه إلى القاع .. وحول ستانتون عينيه عن المنظر المروع وهو يصيح :

- انه ديل .. يا لله .. أي ميتة هذه ..

وكانت جوان قد لحقت بهم ، فحاطها بذراعه ليحجب عنها المنظر ، وهو لا يفتن إلى الصيحة الأليمة التي نادت عنها وهي تهتف : اواه .. !! وماذا بقي لنا من أسل في الحياة !! ..

وقال نيوتن : لقد كان يجلس هنا يرقب التمساح حتى التهمه .. لقد أردت أن أحجزه في حجرته ، ولكن مستر مونتاج أبى أن يوافق ..

فصاح مونتاج في غضب : لم يكن ثمة ضرر من إطلاق سراحه ..

واقبل الكابتن اكس انداك فتساءل : أما كانت ثمة فرصة لانقاذه ..

فاجابه نيوتن : لا ياسيدي .. كان التمساح قد اجتذبه إلى القاع .. لقد كانت قواه العقلية تزداد سوءا ، ولعلها أوجت إليه أن يقفز إلى الماء ..

فأمرهم اكس أن يعودوا إلى قاعة الطعام ثانية ، حرصا على راحة السيدات .. حتى إذا استوى على منصته هناك وقف برهة ريثما ساد الصمت ثم قال :

- أن التمساح المخلص يسهر على حراسة مجرى الماء .. فأمل أن يكون هذا الحادث رادعا لكل منكم عن الأقدام على مثل هذه حماقة .. واذكركم بقول افلاطون ، الذي أترجمه لكم .. أن الحظ الأسود قد يفسد خطط مائة من أجل الرجال . ولقد يجوز لكم أن تعتبروني رجلا عاقلا لأنني لا أود أن يقتحم أحد الاستعدادات التي أقمته دفاعا عن المؤسسة ، ولكن نقطة الضعف في خطتي ، هي التي اعتمدت على اتباع من الحمقى .. لقد تلقيت أنباء سيئة ، فأرجو أن لا تفادروا هذه القاعة حتى يسمح لكم ، وستحضر لكم أقذاح القهوة هنا .. ابق مع أصدقائك يا كولينز ، واتبعني يا مونتاج ..

وقال برانر إذ انصرف الرئيس : هذا أطول حديث القاء . فقال ستانتون : ترى ماذا هناك .. لا بد أن شيئا يسوءه قد حدث .. أما سمعت ما ذكره عن اتباعه ..

فقال لادلو : اعتقد أن ثمة خطرا كاد يحيق بهم من ديل .. وهكذا مضت أقوال الجميع تتضارب ما يزيد عن الساعة ثم أقبل نيوتن وترايبوتى ، ففاجأ الجميع باعتقال الدكتور

كولينز .. ومضت ساعة أخرى مليئة بالحدس والتخمين .
 قدم مونتاج وما زال على وجهه اثر طفيف من الانفعال فما
 سألته مدام مارالدا عن سر اعتقال الطبيب حتى قال :
 - انه خائن .. ويبدو انه قد يسر ببعض تصرفاته سبيل
 الافلات لدبل ، لولا ان اعترض التمساح طريق المسكين .
 والان ، سيدور تحقيق وتفويض دقيق بينكم . ولا سيما
 اولئى الذين كانوا على اتصال بدبل في المدة الأخيرة . فقد
 تركنا له الحرية بناء على تقرير كولينز بانه محبوب يرعى
 خيالات واهمة .. فاذا به يستغل هذه الحرية في التردد على
 مزرعة المواشي ، والحديث مع دافيدسن وتقديم السجائر
 اليه ومساعدته في عمله ، حتى استطاع التودد الى الكلاب
 البوليسية فلى بعد يخشى ضررها .. ثم اسكر دافيدسن ..
 فقال برانر : ومن انباكم هذا) ..

- لقد رآه تارابونى يفتح قفل مخزن الخمهور ، ويحمل
 زجاجة من الويسكى الدايدسن .. فلما غادر المزرعة ، ذهب
 تارابونى ليجسد دافيدسن مخمورا فاقد الوعي ، وان دبل
 قد أعد العدة للفرار . لا سيما وان الليلة ممطرة مما يخفى
 كل اثر تقدميه ..

فقال ستانتون : وهل افضى تارابونى للكابتن اكس بهذا
 كله قبل العشاء ؟

- ربما .. ولماذا ؟

- في هذه الحالة ، يكون دبل قد الفى الى التمساح القاء ..
 - ولم لا ؟ .. انك عسكري تعرف واجب الخضوع للنظام
 والأوامر .. ومع ذلك ، فان اكس لا يابه الحياة واحد في
 سبيل الجميع .. وسوف يحقق الرئيس مع صدقتك
 مستر ويلد باليدى جوان اذ انه هو الذى افضى للطبيب
 بمعلومات عن دبل ، بنى عليها تقريره .. واصارحك اننى ام

ار الرئيس قط في مثل الفضب الذى يتولاه الان ، وهو
 يعتقد ان الصدفة وحدها هى التى انقذته ، حين ساق
 تارابونى الى اكتشاف دبل وهو يفتح قفل مخزن الخمهور
 خلصة .. ومن ثم فسرقى تارابونى الى منصب اعلى ..
 اما ويلد ، وهو الذى يهتك امره باليدى جوان ، فاظنه
 سيكون هدف تجربة جديدة يقوم بها الرئيس لتوطيد حكمه
 وسلطانه ..

فاقتربت ليدى جوان من ستانتون وهمست : كنت اعرف
 كل شيء عن هذه الخطة ولكنه حذرني من الافضاء بها لأحد
 .. كان يرجو ان يطلق سراحنا ليلة عيد الميلاد ..
 يا للتعس ..

وانهمرت دموعها ، فربت الجترال على كتفيها مواسيا .

الفصل الحادى عشر

صعد كابتن اكس الى برجه وهو مكفهر متجهم ، كما
 لم يره أحد عقب أى حادث من حوادث محاولات الهرب فيما
 مضى .. فلقد تبين له ان كل ما أمده من احتياجات يمكن
 التغلب عليها ، اذ لولا ان الصدفة ساقت تارابونى لاكتشاف
 الامر ، لكان الربيع قد نجح في محاولته . وفكر اكس طويلا
 في العلاقة التى ضمت ويلد ودبل وكولينز ، فخيّل اليه ان
 في الامر شيئا .. وبدا يرتاب في القصة التى علل بها ويلد
 قدومه الى الحصن . فعهد الى نيوتن وتارابونى ان
 يستخلصا الحقيقة من الاسرى مهما اضطرهم هذا الى
 استعمال العنف والقوة ..

فلما وصل اكس الى الحجرتين الاوليتين في البرج ، نفذ
 الى الداخلية منهما ، فاذا هى معدة ليكون جزء داخلى مطهى
 ومغسلا ، بينما استعمل عظمها كمخردع له . وسرعان ما
 خلع ملابسه ، وارادى ثياب الاسموكنج ، ثم تأمل وجهه

قابتسم الرجل ، بينما وجد لوبين ان لا بد من شيء يكون خلف هذه الابتسامة .. وخيل اليه ان اكس ولا بد في إحدى حجرات البرج ، لذلك كتم الرجس ، ثم مضى الى العجوة التي في الطابق السفلى ، وما لبث بعد برهة ان عاد وهو يقول :

- اعترف انك ماهر .. لم يكن الخطر لاحد على يال ان الكابتن اكس ليس غير رجل أحمر الشعر يتكرر في غير صورته الأصلية .. أجل ، لقد اكتشفت انك لست غير الكابتن اكس ولكنك عندما تظهر لأسراك ترتدي شعر اسود يغير من شكلك ، وتدهن وجهك بذلك المزيج الذي يستعمله الممثلون لكي يبدو المرء منهم شاحبا اللون .. ولكن ، اية حيلة دفعتك لهذا ؟ .. اتأبى الكلام ؟ .. انك احببنا تقضي اسابيع بطولها هنا دون ان يقلق عليك احد . ولذا فلن يسأل عنك أحد اذا طالقت فيبتك . ولذا فان اخشيء شيئا ريشا انتزع الحقيقة منك قسرا واكنسى سانعم الان بالنوم لعشر ساعات ، ولن اخشي ان تفك قيودك ..

- وما الذي تريدني على ان اقله ؟ ..

- لا أريد الان شيئا ، بل سادعك حتى تتوتر اعصابك . وتصرخ تستجدي الرحمة .. فاذا تألمت فتذكر آلام ضحاياك السابقين ..

- ولكن ، من الذي التهمه التمساح اذن ؟ ..

فأشعل لوبين سيجارة وقال مبتسما : كانت خطة بدعة .. لا بد انك علمت ان تارا بوني قد اكتشف انني سرقت زجاجة ويسكي من مخزنه . فقد فاجأني وانا انسلل هاربا . كما انني أدركت انه كشف أمر الملابس التي اخفيها في مزرعة الماشية لأنكر فيها . ومن ثم عدلت عن هذه الخطة الى غيرها . انك ولا ريب قد علمت من رجالك انني كنت أجوب

المكان طيلة أيامي الاخيرة . منهمكا في رسوم ريكه . كان بينها رسم البرج . ولكنني حين جلست أمام البرج اتألمت الساعات الطويلة . لم اكن افعل ذلك لأنني رسمه . وانما لأدرسي طريقة لاقتحامه .. ثم حملت خنزيرا سمينا عن المزرعة . فلففته في سترتي بعد ان اسكرت دافيدسن حتى فقد وعيه . ثم القيت بالخنزير الى التمساح بعد ان ارسلت تلك الصرخة المرتاعة .. ورميت بقبعتي الى المجرى . ولا ريب انك عرفت البقية . بل انك عرفت كل شيء . ما عدا أمرا واحدا .. هو انني الضيف الوحيد الذي دفع النفقات اللازمة لاخطافه ..

- اتعنى ان سميت قد خانني ؟

- لا . بل ارسلت له شخصا ادعى انني عقبه في سبيله . كانت حيلة بارعة .. ان وولد هو شريكى ..

- قط لم اطمئن اليه .. ولكن مونتاج ..

- بل ان مقدم وولد كان هادما لخطتي الاولى . وهذا سر غضبي منه . لقد كانت تعليماتي تقضي بان ينتظر حتى يتلقى من نيا .. ومع انني اختطفت قبل الموعد الذي كنا ننتظره . الا انني كنت احمل في جيبى بطاقات بريد تحمل عنوان وولد في فندق كلاريدج . فكنت وانا في السيارة التي حملتني الى مكمنكم في شارع بيرى ، القى بطاقة في كل شارع امر فيه . وكانت آخرها في شارع بيرى . ثم القيت عليه سجابري الفضية في مرفأ جريفند . وكانت فيها بطاقة تحمل اسمي وعنواني . فالتقطها احد البحارة وذهب بها الى زوجتي المزعومة . ومن ثم قصد وولد الى هذا البحار ليعرف منه التفاصيل . وما لبث ان التقى بهوني . ولمست في حاجة لسرد البقية ..

- وماذا كان غرضك من المغامرة ؟

— أما أثبت لأنقل ليدى جوان ومسز أرجيللو . والإنا
سأذهب لانام . ولكن بعد ان اكتمك ..

ولكن لوبين ما لبث ان عاد الى الحجرة ثالثة . ففك قيود
اسيره . وقاده الى الحجرة الدخيلة . فاذا فيها دولار
كبير للملابس . ارقده فيه وهو ما زال مقيد اليدين والساقين
ثم اغلق عليه بابه ..

ومرت فترة طويلة قبل ان ياوى ارسين لوبين الى الفراش
اذ راح يفحص ارجاء البرج في عناية . ثم راح يفكر في طريق
الخروج من البرج . وتذكر ان دافيدسن حدثه — وهو
يقله مخبولا — عن ممرات سرية في البرج . يسلكها اكس
أحيانا في سبيله الى الخارج . عندما يطيب له ان تبقى
حركاته مكتومة . وكان على ارسين لوبين في نفس الوقت ان
يظل على حذر من اكس . فقد اثبت له بخطته الفسدة ..
وبالسياسة التي يدير بها عصبته . انه داهية ذكي .
وأخيرا ، وفق الى خطة الخروج ..

كانت الكلاب البوليسية قد افته .. كما كان في وسعه
ان يفتح قفل حظيرة الخيل بما عرف عنه من براعة . ومن ثم
يختار له جوادا قويا .. بعد ان يخرج في ملابس اكس . ثم
ويهدى من المعلومات التي استقاها من دافيدسن عن الجهات
التي تحوط الحصن ، يستطيع ان يسلك طريقه نحو قرية
بيرت . وهي اقرب الأماكن المأهولة . ولن يكون له وهو
منطلق فوق جواده في ملابس اكس ، ان يخشى السياج المقام
من الأسلاك . فقد عود اكس جواده على القفز فوقه ..

وفي الساعة التاسعة من الصباح التالي . اخرج ارسين
لوبين غريبه من الصوان الذي القاه فيه . ثم ازاح الكمامة
التي كاد ينخلع لها من فرط الألم الذي بعثه فكها اكس . ثم
قال له :

— اذا لم اتو على حملك على الكلام . فاننى لن اخفق في

ان اتوك هذا للبوليس ..
فاجابه اكس في لبات : تخطيء في تعتك . فليس في دار
البوليس شيء عنى .. ثم تذكر اننى في عرف العالم الخارجى
شخص مات منذ زمن بعيد . ولكن ، كيف توفق الى مغادرة
الحصن ؟ لقد كان عمى خلال السنوات السبع التي ادرت
فيها مؤسستى فى هذا المكان ، ان اقضى على كل فكرة تساعد
اسراى على الفرار . فهل تظن اننى اغفلت الاحتياط لحالة
مثل هذه ..

وعاد القلق يسرى الى نفس لوبين . ولكنه ابتسم وقال :
بل اننى سأخرج وسأبلغ صديقى سمرز امرك . فسأخرج
في ملابسك . ولن يثير خروجى دهشة احد لما اعرفه عن
ولعك بالتجول تحت جنح الظلام . كما اننى اعرف الاشارة
التي تبديها فى ترفع لحارسك فيفتح لسك الباب الخارجى
فضلا عن اننى لا أعجز عن تقليد صسوتك ولهجتك كما
ترى ..

ان مغالاتك فى الترفع والكبرياء على رجالك ستساعدنى
وتخينى الكلام الكثير . ولقد علمت طريقتك حين تصرف
اتساعك عن طريقك وأنت منطلق ، باشارة من يدك . ثم اننى
سأستخدم نفس طريقتك في طلاء وجهك ليبدو شاحبا اصفر
انظننى تحشمت كل هذا العناء ليكون الفشل نصيبى في
النهاية ؟ كذلك لا تنس اننى اتسلح بمسدسك الاوتوماتيكى
واننى من المشهود لهم بسداد الرماية . ولكنى الان اميل
الى الاستمتاع بشيء من العزف على معزفك هذا ..

— او هل تصر على التشبث بالامل ؟
— لقد وعدت ليدى جوان ان اطلق سراحها وبقيتها زملائها
ليلة عيد الميلاد ، فما زال في الوقت متسع ..

فقال اكس ، وقد بدا لأول مرة يرتاب في دقة رقابة مولناح
للمعتقلين :

- وهل يعلمون بهذا كله ؟ ..

- اجل ، فلقد ركنت الى الاهدال في تسيير احوال مملكتك
في المدة الاخيرة ..

وجلس ارسين لوبيين يعد شيئا من القهوة ، ثم قال : لقد
طرات ببالي فكرة ظريفة ..

واسرع يبحث عن جبل طويل متين ، ربطه حول وسط
اسيره ، ثم ربط طرفه الاخر في حلقة في جدار الحجرة قريبا
من المنضدة بحيث لا يسمح له بالتحرك الى اكثر من حافة
هذه ، وهو يقول : لقد اعدت عن المكان كل اداة حادة ،
فبقيت لك اصابعك ، فاذا وفقت في حل احدي العقد التي
ربطتك بها ، فانت حر طليق .. ان كل عرض يرمى الى
تمكينك من تناول الفطور معي ..

- هل يعلم اصدقائك في الخارج بمقرك منذ اختفائك ؟ ..
اكذب اذا اجبتك بانهم يعرفون .. لا ولا اهل وباد ايضا
.. ولذا فانا اعتمد على جهودي وذكائي فقط ..

- لقد قدر لك الدمار يا عزيزي ديل .. ان كل ما كنت تحشاه
ان يكون ثمة من يتعقب آثارك وينتظر أوامرك ، وان هذا
ما ساعد وولد على الوصول الى هنا .. شكرا لهذه القهوة
التي سمحت لي بها .. ودعني في مقابلها اندرك بانك ستبقى
في سبيك الى مفادرة الحصن ، عقبات لا تتصورها لان ..
ولكن لوبيين لم يحاول مفادرة البرج اسبوعا بأكمله ، قضاة
في فحص كل شبر من البرج في اهتمام وعناية ، بينما كان
اكس مربوطا الى الحائط كقرود اليف ، حتى اذا اقبل الليل ،
القاه لوبيين في الصوان الكبير كما لو كان قطعة من الاثاث ،
لينعم بنوم هنيء .. بينما كان اكس يظنه ساهرا يكشف

جنتبات البرج .. الى ان كانت الليلة السابعة .. فبعد
انتصاف الليل بقليل .. اخرج لوبيين من الصوان ..
ودهش اكس ، ثم زادت دهشته حين رآه في ملابس الركوب
التي كان يستعملها ، وقد غلق الوحل بحدائيه ..

وقال لوبيين : لقد وفقت الى ذلك المر الذي كان يقضي
بك ، تحت قاع مجرى الماء ، الى الخارج .. كما كشفت
سر المزولة القائمة امام البرج .. بل وجرت عسلي ان امر
بتارابوني .. وكم اعجبت بطريقتك في معاملة اتباعك ، فما
ان لوحث له يسدي ان يتعد ، حتى اسرع بختفي من
طريقي .. حقا ، او انه عرف حقيقتي لقتلني ، ولكن الا
تري ان لا بد من شيء من المخاطرة ؟

فصاح اكس في هياج : يا لك من وحش هاديء
الاعصاب ..

- ألا ترى انك كنت تموت جوعا لو انني قتلت ؟
وتذكر اكس انه وان كان قد اختزن مقادير وافية من
الاطعمة المحفوظة ، الا انه كان يستطيع وهو موثق اليدين
والساقين بهذا الوثاق الاليم الذي عمده اليه لوبيين ، ان يصل
الى شيء مما اختزن ..

وقال لوبيين : انك لا تبدو ممن طبعوا بفطرتهم على الاجرام
وقال لك ان تقص على طرفا من تاريخك ؟

فضحك اكس وقال : لا مانع .. ان حرص عسلي المغلاة
في الدقة في خططي هو الذي دفع بي الى ان اكون اسيرك ،
فلولا المناعة التي يسر عليها فتح ابواب هذا البرج ولولا
الشدة التي اخذت بها اتباعي لكان من المحتمل ان يأتي
احدهم ليراني وقد طالمت عنى غيبتهم ، ومن ثم يكشف
امرك ..
انني لم اكن مجرما بطبيعتي كما حدثت .. اشأت فقيرا

في إحدى قرى إنجلترا ، لم ألق من العالم أكثر مما زودتني به مدرسة القرية ، في حدائتي .. ولكن ذكائي وتفوقى ، دفعا ناظر المدرسة الى أعدادى لاحدى مسابقات كلية كمبريدج العلمية ، فتمكنت من نيل الجائزة الأولى ، وهى التى مكنتنى من الدراسة في أحد أقسام الكلية مجانيا ..

كنت شغوفا بالعالم فأقبلت عليه .. ولكن الأقدار شاءت الا أن تبذر فى قلبى بنور المقت والكرهية للمجتمع ممثلا فى شخص زميل لى من أبناء قريتى يشبهنى قامه وجسما وان امتاز عنى بانه ابن ماركيز واسع الثراء يسيطر على مقاطعتنا .. فحرصت أثناء الدراسة على أن أنافسه فى كل شيء .. فى العالم وفى مياريات الكريكت .. وكنت فى بادىء الأمر أتفوق عليه ، ولكنه بما كان له من مال ، استطاع أن يستأجر مدرسين ومدرسين يعاونونه ، فانقلبت المناقسة بيننا الى شعور بالحسد تملكنى نحوه ، ولقد ترى الى هذا انه لم يفعل ما يستثير عدائى له ، فما ذنبه هو اذا كانت الأقدار قد ساقته اليه المال الذى كان يمكنه من الفوز دونى بما يريد . انه حقا لم يصيبنى بضرر .. بل كان يحاول جهدة التقرب منى .. ولكن مشاعرى هى التى أوجت الى بما أثار فى قلبى هذا البغض المقيت نحوه ..

بل لقد حاول أن يساعدى ، فتوسط للاحاقى بالعمل فى مكتب أحد كبار المحامين فى لندن . وكان هذا المحامى يتولى قضايا اللورد ريتشارد .. كما كان يدعى فكان يخصص قسما من مكتبه لسجلات وأعمال اللورد ، لما كانت أملاكه وأراضيه من اتساع .. وفى هذا القسم عملت .. الى ان كان يوما رأيت فيه اللورد ريتشارد .. يفد الى المكتب ، فلم أخف لاستقباله ، وطفى على الحقد حين تذكرت اننى انما اعلم فى الواقع فى خدمته هو ، فلما مرى لم أرد تحيته

.. وكانت النتيجة ان فصلت من عملى .. فرحلت الى برنيو فى بورنيو الشمالية البريطانية ، حيث قضيت عامين ثم قامت الحرب فالتحقت بالجيش .. وتشاء الصدق الا ان يكون اللورد ريتشارد ضابطا لفرقتى فزاد من حقدى ان يكون ممتازا عنى ، رغم اننا كنا زميلين فى الدراسة .. وكان رؤسائى يشكون من الشكوى من اهمالى . الى ان جرحت .. فلما برئت ، نقلت من الميدان الى هنا فى حراسة ضباط العدو الأسرى .. فكنت اقضى وقتى فى تفقد أرجاء هذا الحصن وممراته الخفية وفى دراسة ما وجدت فى المكتبة عن تاريخه ورسومه ، وفى التعرف الى كل ما يحوطه .. وقد نفعنى هذه الدراسة ..

فأله لوبين الذى كان ينصت فى شرف :

وهل خطرت لك اذ ذاك فكرة العصابة ؟ .. كلا .. لقد واتنى الفكرة بعد ذلك بسنوات ، وأنا فى أمريكا ولكن دعنى اتابع القصة ثم حدث أن فر أحد الضباط الأسرى .. فاعتقلت وأهمت باننى أهملت فى واجباتى .. وتقدم شاهد يؤكد اننى تناولت من الضباط الفغار رشوة لقاء مساعدتى له فى الفرار .. ولكن المجلس العسكرى ما لبث ان أبرأ ساحتى .. الى ما بعد الحرب .. اذ فصلت من الخدمة فى الجيش لاهمالى .. ولكن هذا بلا صدرى حقا على بلادى وأهلها . فرحلت الى أمريكا وحاولت ان أجد عملا فى نيويورك فأخفقت .

وفى ذات أصيل . جاست فى أحد المنزهات العامة أضع خطة الانتحار .. وفجأة . شبت نار هوجاء راحت تلتهم منازل شارع قريب . فخرج من فى المنزه نحوها لمشاهدة هذا الحادث .. ولكننى كنت عازفا عن الدنيا وما فيها ،

فظللت جالسا ارسم خطتى .. واذا بى ارى شخصا طويلا
فى ملابس انيقة ثمينة . يسير قريبا منى . ثم توقف
ليشعل سيجارة .. وذهلت حين تبينت انه لم يكن غير
سير ريتشارد الذى عاد من الحرب ، قرين صدره الاوسعة
بين ما انتهت اليه حالى .. وما صار اليه امره .. فلذت
جدوة الحقد فى صدرى .. وتقدمت منه .. وعرفنى رغم
مظهرى الرث الحقيق . لقد رأيت نفسى اذ ذاك فى اسحق
اعماق الهوة . ولكنى فى الواقع كنت اخطئو فى تلك
اللحظة اولى خطواتى نحو النجاح ..

فقال لوبيين وقد غاظه ان يصر اكس على انه ما يزال
محتفظا بنجاحه :

- اظن ان هذا النجاح قد انقضى وزال ..

- دعنا من الجدال الآن .. لن انكر ان سير ريتشارد
هش للقائى .. واستطعت ان اقرا افكاره . فادركت انه
برى من واجبه - لما كان بيننا من تعارف - ان يساعدنى
على العودة الى قريتى ثانية . الى الجو الذى نشأت فيه
.. وحاول ان يبدى لى اسفه لما آلت اليه حالى .. ولكنى
اجبته فى خشونة . ثم حاولت اهانتة .. فاضطر الى ان
يركنى بقدمه .

وكنت ضعيفا لم اتناول طعاما مفديا منذ ايام .. فهويت
الى الارض . واذا بيدي تقعان على حجر كبير فما لبثت
ان رميته به .. فاصابه فى راسه .. وهوى بين الشجيرات
الكثيفة .. وتبينت انه مات .. فتولانى اللعبر فى بادىء
الامر . ولكنى ما لبثت ان تذكرت الحقد الذى يمس
نفسى نحوه . فاسرعت استبدال ثيابى بيثابه . وشوهت
وجهه حتى لا يتبين احد انه شخص غيرى .. او يظن
امرؤ الى حقيقة شخصيته .. ووليت هاربا .. ووجدت فى

سب ستره خمسين الف دولار ورقى كلها . من الاوراق
الآلاف دولار كلها جديدة .. فخشيت ان تسم ارقامها
.. ورايتنى منساقا الى المضي فى الجريمة حتى النهاية
.. فكان اول همى ان اتخلص من الاوراق الجديدة . ولما
كنت شطر شيكاغو وهناك التقيت بسميث ففسدونا
سديقين .. اذ كان هو الصراف الذى اعاننى على استبدال

الاوراق . لقاء خمسين دولارا عن كل ورقة .
وحدث ان كان سميث على اتصال بابن احد اصحاب
اللايين .. وكان الشاب متلافا .. يضيق بتقشير ابيه عليه
نشأ ان يتخلص منه .. وكانت اولى مقامرانا . ونواة
مصننا . فامددت سميث بالمال اللازم لتستاجر بيتنا
معملا خارج مدينة نيويورك . ولكن البيت كان قريبا من
سجن سنج سنج .. فكان معرضا للتفتيش كلما فر سجين
من هناك . فدعانا هذا الى التفكير فى تركه الى غيره ..
ولكن كيف السبيل الى نقل اسرانا وقد بلغوا الخمسة
عندا ؟ وجاء الجواب فى احدى امسيات الشتاء . اذ
اشتعلت النار فى البيت فجأة . فتجوت وسميث وقبل
ان تانى التجدة من نيويورك .. كانت النار قد ائت على
البيت ومن فيه . ومن ثم رأينا ان نجعل مقر معتقلنا فى
الجزر البريطانية .. لما فيها من حصون قديمة .

وكنت اعرف هذا الحصن .. فساعدتى الثروة التى
الىها استثمارى للخمسين الف دولار ولما اضربناه من
مقامرانا ، على شرائه . وطبعا بوسسك ان تدرك اننى
اضطرت الى التنكر حين قدمت الى انجلترا . فاستعملت
الشعر لاسود المستعار . واضطرت الى دهن وجهى بشك
المادة التى تبديه شاحبا . وان اتجنب وقوع الضوء على
وجهى . بلاعاء ان عيني لا احتملان الضوء .

الفصل الثاني عشر

واقبل اخيرا اليوم الثالث والعشرون من ديسمبر يحمل
في طياته بوادر الشتاء والجليد .
وكان مونتاج ونيوتن يتوقعان أن يشترك الكابتن اكس
في استقبال عيد الميلاد .. بأن يتناول عشاءه مع ضيوفه
.. ولذا أعدا مائدته فوق المنصة المعتادة .. وزينهاها
بالزهور والرياحين . بيد ان الضيوف لم يستقبلوا ليلة
العيد بشيء من الفرح . اذ كان ثمة قلق عام حول مصر
وبلد وكولينز وكانت جوان جزعة تخشى ان يكون مونتاج
قد لحق بويلد اذى . ولكنها لم تك تدري أن احدا من
اصوان اكس ما كان يستطيع ان يأتي امرا يتعلق بأحد
الضيوف ، دون اذن منه .
وتسدى على الجميع الانفعال عندما أحاطوا بمسائل
العشاء .. واتجهت انظارهم صوب باب القاعة بترقبون
مقدم اكس .. بينما موقف مونتاج في المدخل ينتظره وهو
حائر يفكر فيما دعا الرئيس الى اهمال التحقيق مع
كولينز وويلد .. وهو الذي كان غاضبا متعجلا ؟ ...
ويسائل النفس ما السر في حركات الرئيس التي حمل
اليه تارابوني نباها .. فقد شوهد في الليالي الأخيرة
يمتطي جواده فيما بعد العاشرة مساء في سرعة هوجاء
وكانه شبح داهم في غمرة الظلام . وأحس مونتاج بوجوم
يعروه .. وبقلبه يخفق في انقباض أم يستشعر في حياته
من قبل مثيلا له .
وأخيرا أقبل اكس ، يتقدمه تارابوني ويسر خلفه
نيوتن . فسار بين الضيوف لا يكثر بهم حتى صعد
منصته .. وما أن أقبل الخدم بالشراب حتى نهض قائلا :
« سيداتي .. سيدتي .. يؤسفني أن لا أرى البشر يعاو

وانقضت بضعت ايام بعد هذا الحديث . ثم قال لوبيين
ذات ليلة لاسيره :
- سأقصد الى بيرت الليلة لأرى ما اثاره اختفاء وبلد .
فأنت تعرف مكانة عمه وتفوزه .
فقال اكس متهمكا : اذن أرجو أن تحضر لي نسخة من
جريدة « التيمس » في عودتك .
- انظني غير مستطيع الذهاب . صبرا . ولكن لا بد
لي من أن أوثق كشافك . وان القيك في الصوان . فهذا
أكثر أمنا لك الى أن اعود .
وبعد منتصف الليل بساعة ونصف عاد لوبيين يفتح
الصوان ويخرج اكس ويفك قيود يديه وكانت ثيابه موحلة
تم عن أنه قطع مرحلة طويلة .
وقال لوبيين في فرح : آسف . لم أجد من « التيمس »
سوى النسخة التي صدرت منذ ثلاثة أيام . هالك هي .
الا تصدق ؟ . اذن انظر هذا الطبايق الذي ابتعته من بيرت
.. هل قرأت اسم المحل على الكيس الذي يضمه ؟ .
- صدقت . ولكنه امر غريب أن توفق في رحلتك .
والأغرب منه أن تعود ثانية . الا ترى أنك برهنت على غباء
.. لقد استعدت حريتك مرة .. فهل تراك موقفا الى
استعادتها كل مرة ؟ .
- لا تشغل بالك من اجلي .. اعرف انه كان من اشق
الأمور حمل دوائر البوايس على أن تصدق قصتك وقصة
عصبتك ؟ . ها اصدقت ؟ لا يا عزيزي .. لست
بالابله الذي يخطر البوايس . ليري رجاله يستأثرون دونه
بشمة جهوده وفخر انتصاره .. انما كان همي الأكبر أن
يعرف الجميع أن النصر تم على يدي .. وسيتري كيف
يحدث هذا .

وجوهكم الليلة .. ولكنني اذكركم بحكمة فرجيل .. التي
ارجمها لكم في هذه الكلمات .. فليتأس أولئك الذين
يعانون الضيق وليتشبهوا بالامل .. وليحذر أولئك الذين
أنملهم النجاح وليتبصروا مواطئ أقدامهم .. والان .
فانشرب نخب الامل ! ..

وأفرغ الجميع كؤوسهم في دهشة . ولكنه لم يجلس .
بل تابع حديثه : انه ليسرني ان اذكر ان هذه الليلة كانت
الموعد الذي حدده مستر مارتن دبل لسقوطي وحررتكم ..
ولكن هذه الدار أثبتت انها أكثر مناعة من ان تسمح ان
يدخلها بمغادرتها .. انها أكثر وفاء منكم يامن تفكرون في
مغادرتي .. وانا الذي طالما عنيت باسعادكم .. واني
لانذر بالعقاب أولئك الذين تأمروا ضدي .. الجنرال
ستانتون والكومندور لادلو .. والليدي جوان . ولكن
الليلة ليست ليلة الانتقام . ولذا فسأحاول أن أصفح .
وسأبرهن لكم على أن في وسعي أن أغفر فقد أمرت باحضار
الدكتور كولينز ومستر ويلد ..

وتتمم ستانتون : ترى ماذا يخبره الشيطان ؟

فقال برانر : لست أدري ما وراء هذا الحديث ..

وما لبث ان نفلد ويلد وكولينز الى القاعة . فاذا الأول
بيدو عيلا . بينها اصاب الثاني نحول جلي
وتتمم برانر : انها اول حسنة لأكس . ان سمح لهما
بمشاطرتنا بهجة الليلة .

واسرعت جوان الى ويلد تحتضنه وتقبله في فرح
بينما اجاب ستانتون زميله :

- ليس ثمة حسنة لأكس . فما كان ليفعل هذا .. لولا
ان هناك باعشا قويا يحدوه .

وتتمم ويلد لجوان : لقد بلغني نبأ موت صديقي العظيم .

يا لها من مينة . لكم اخشي ان يقتل المصاب فيرا المسكين

لو انها دوت به .
وعلى مائة ميل خارج الحصن . كانت لندن تضج وقد
ازدحمت طرقاتها بما هرعوا يحتفون بالعيد .. وفجأة ..
دوت في الخارج صيحات عالية . تبعا وقع اقدام ثقبلة
.. وصوت تحطم الابواب وقفز الضيوف في جزع ورعب
.. ونظر الجميع الى افس .. ولكنهم بهتوا لما بدأ عليه من
البيات . وتساءلوا فيما بينهم اهي حيلة جديدة ليوهمهم
فيها بما يخالجه من امل . ؟

واندفع الى الحجرة حوالي العشرين رجلا .. بينهم
أكثر من نصفهم في ملابس البواليس .. وراى ويلد بين
الآخرين عمه كيرتز .. وفيما صديقه لوبين .. ووكيل الامن
العام .. واللورد كنهيرست .. ومستر ارجيللو .. وتقدم
مستر سمرز مفتش البواليس قائلا :

- حذار ان يتحرك احدكم .. فالحصن محتل بموج

برجال البواليس .
وهجم بضعة رجال على نيوتن وتارا بوني فأوثقوهما .

اقرا رواية العدد القادم

الموت العائم

بعظها اللص الظريف

ارسين لوبين

وهرعت فيرا الى جوار سويز .. فمضت جوار تتأملها
محببة بجمالها .. وهتفت فيرا :
- سويز ، أين ديل ياسويز ؟
وتبدى عليه القنوط ، ولكن صوت سوز انقلده من الاحابة
وهو يتقدم من المنصة قائلا :
- انت الكابتن اكس ؟ ..

فقال بين دهشة الجميع : هكذا يلوح للكل .
ثم نهض وتقدم الى حافة المنصة .. ووضع يديه على
رأسه كما يفعل اكس في بعض الاحيان .
وقال اكس أخيرا : آسف لانك لن تنعم بلذة القبض على
وهتف لادلو : حذار والاقتل نفسه ..
ولكن اكس في اللحظة التالية .. كان قد رفع الشعر
الاسود الزائف .. وبدلا من أن يبدو تحته الرأس الاحمر
الشعر .. تبدى رأس ارسين لوبين .. الذي لم يلبث أن
قال :

- آسف لأن الكابتن اكس سجين في البرج .. فله
يستطع أن يقدم لكم لذة الاستمتاع بمنظر القبض عليه
.. انه مخبول ، ممن ذهبوا ضحية المغالاة في الخيال
والوهم .. كان يظن أن العالم كله ضده ، فمقت العالم
وكرهه .. وأراد أن يوفر للغير متعة الحياة بعيدا عنه ..
ولا يفوتني أن أسجل أمامكم جميعا فضل صديقي ومساعدتي
الدكتور كوليتز اذ نبهني الى خبئه .

وتلفت كوليتز متسائلا في حيرة ودهشة : ماذا يقصد
بقوله اننى صديقه ؟
فوكزه برائر قائلا : صه ايها الاحمق ، انه ينقلد رأسك عن
المصير الذي ستلقاه رؤوس العصابة ..

تمت